

الفصل الثاني

المراهقون

obeikandi.com

## مقدمة

المراهقة فترة مهمة فى حياة كثير من الأفراد، تعصف بهم فيها تيارات فكرية متضاربة يتعرضون فيها لنوازع وخواطر متباينة يحارون بينها، ولا يدرون أيها يتبعون ويسايرون وأيها يغفلون ويتجاهلون، وهى مرحلة ذات أهمية وتتطلب منا الدراسة العميقة والفهم الصحيح، لهذا تقع على عاتق جميع المؤسسات الاجتماعية (الأسرة - المدرسة - وسائل الإعلام - الأندية - إلخ) تبعات الوفاء بمطالب أطوار المراهقة والبلوغ وإشباع حاجات المراهقين وتوجيههم وتزويدهم برصيد عريض من الثقافة العامة والقيم الخلقية والاجتماعية والاتجاهات والمهارات التى تمكّنهم فى نهاية المرحلة من أن يشقوا طريقهم فى الحياة العملية ويواجهوا مشكلاتها بنجاح.

فالمراهق يحاول بوسائله الخاصة التى لا يعرف غيرها أن يثبت وجوده كإنسان فهو يحاول بلوغ مرحلة النضج، ولكن هذا الهدف غالباً ما يكون غامضاً بالنسبة له، وكثيراً ما يفتقد من يوضحه له أو يرشده، وتعتبر هذه المرحلة (المراهقة) من أهم المراحل فى التربية الدينية، ومما يضاعف أهميتها أن مشاعر المراهق وانفعالاته تكون عادة من النوع العميق الذى قد يصل إلى حد التعصب مما يجعل للشباب قوة كبيرة فى الجماعات الدينية؛ إذ يكون حماسهم قوياً وطاقتهم النفسية متدفقة فى الاتجاه الذى ترضيه الجماعة.

من هذا الإطار اهتم العلماء فى شتى التخصصات بدراسة مرحلة المراهقة كمرحلة مهمة وحاسمة من مراحل نمو الفرد بوصفها مرحلة تتسم بالأزمات النفسية والقلق والمعاناة وصعوبة التوافق، حيث إن سلوك المراهق يختلف عن سلوك وتفكير الطفل وكذا عن أسلوب تفكير الشاب فى مرحلة الرشد، فهى مرحلة تمتاز بالنمو السريع الذى يشمل جميع الجوانب والنواحي الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، وقد اختلف المربون فيما بينهم حول وصف

المراهقة فبينما يصفها البعض بأنها مرحلة صعبة يتعرض فيها الشاب لكثير من المشكلات والهموم، يرى البعض الآخر أنها فترة تكيف وليست فترة تغير فجائى، فهى تتسم بالانفعال التدريجى إلا أن التغيرات السيكولوجية التى تنجم من الضغوط الثقافية والاجتماعية هى التى تؤدى إلى حدوث مشكلات صعبة فى التكيف.

وتعقيباً على ما سبق، فالمراهق يتعرض لتيارات حادة تؤدى به إلى نضج شخصيته أو العكس، وقد يصبح شخصية متناقضة أو عدوانية أو انطوائية، ويتوقف ذلك على الظروف المحيطة به فسلوك المراهق هو نتاج لتفاعل مجموع القوى العضوية والوجدانية والعقلية مع مؤثرات البيئة الاجتماعية والثقافية التى يعيش فيها، ومن ثم فهو يحتاج لمزيد من الاهتمام التربوى الذى يتفهم طبيعته وخصائصه ويعمل على توجيهها إلى ما يحقق اتساقها، أيضاً يكسبه نسقاً من القيم ويعمل على نضجه وجدانياً وعقلياً واجتماعياً، فعلى سبيل المثال: يسمح للمراهق أن يشبع ميله إلى الاستقلال والنقد والشك وتحمل المسؤولية والمشاركة من خلال تنمية تفكيره وتعيده على التخلّى عن الأحكام المسبقة وتدريبه على رؤية الواقع ونقده ونقد نفسه والآخرين بموضوعية وعلى أسس عقلية.

ومن خلال هذا الفصل سوف نتناول بالعرض والتحليل عدة أبعاد على النحو التالى:

- ١ - تعريف المراهقة.
- ٢ - المراهقة والبلوغ.
- ٣ - النظريات المفسرة لمرحلة المراهقة.
- ٤ - خصائص وسمات مرحلة المراهقة.
- ٥ - مظاهر النمو فى مرحلة المراهقة.

- ٦ - مطالب وحاجات المراهقين.
- ٧ - ميول المراهقين.
- ٨ - مشكلات المراهقين.
- ٩ - الجماعات المؤثرة فى المراهقين.
- ١٠ - المراهقون والعلاقات العائلية.
- ١١ - المراهقون والسلطة الوالدية.
- ١٢ - المراهقون والصراع القيمى.
- ١٣ - المراهقون والدين.
- ١٤ - المراهقون والتطرف الدينى.

## (١) تعريف المراهقة Adolescence

يختلف علماء النفس فى تحديد مرحلة المراهقة، فبعضهم يتجه إلى التوسع فى تحديدها، فيرون أن فترة المراهقة يمكن أن يضم إليها الفترة التى تسبق البلوغ وهم بذلك يعتبرونها بين العاشرة والحادية والعشرين بينما يحصرها بعض العلماء فى الفترة ما بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة (١٣-١٩) سنة.

وعلى الجانب الآخر، يؤكد بعض الباحثين على تعدد التعريفات الخاصة بتلك المرحلة والاتفاق فيما بينها على تحديد المرحلة سنياً حيث قسمت المرحلة إلى ثلاث مراحل فرعية: مراهقة مبكرة (١٢ - ١٤) سنة، مراهقة متوسطة (١٥ - ١٧) سنة، ومراهقة متأخرة من (١٨ - ٢١) سنة، كما اتفقت أيضاً فى أنها - مرحلة المراهقة - تبدأ بالبلوغ الجنسى حتى الوصول إلى النضج فهى مرحلة نمو جسمى وعقلى سريعين مما ينتج عنه اضطرابات انفعالية وبعض المشكلات المعقدة من أعنف ما يواجه الإنسان فى مراحل تطوره، فالجسد يعود مرة أخرى ليقحم نفسه على الوجود من خلال نموه المفاجئ فى الحجم والشكل.

•• وفيما يلى عرض لبعض تعريفات مرحلة المراهقة:

- يرى «هل Hall» وهو أحد مؤسسى علم نفس النمو، أن المراهقة فترة النضج الجسمى وعدم النضج الاجتماعى بسبب تعقيد النظام الاجتماعى الحالى، فالطفل يبلغ سن الرشد الطبيعى قبل أن يكون مؤهلاً ليؤدى دوره الاجتماعى جيداً وتصبح المراهقة فترة - حرجة جداً - ضغوط بسبب نمو القدرات الطبيعية الجديدة وكذلك الضغوط الاجتماعى الجديدة.

- بينما تعرف «ديانا ووندكوز Diane and wendkos» المراهقة بأنها مرحلة العواصف والضغوط وتشير إلى أن بدايتها ونهايتها تختلف باختلاف المجتمعات واختلاف النوع وتشير إلى أنها فى المجتمعات

الغربية تبدأ من الثانية عشرة وتنتهى مع بداية العشرين، كما يمكن أن تبدأ لدى الإناث من الحادية أو الثالثة عشرة بينما تبدأ لدى الذكور من الثالثة عشرة حتى الخامسة عشرة.

- كما يعرف «فيليب ريس Philip Rice» المراهقة بأنها فترة في نمو الكائن الإنسانى تبدأ بشعور الفرد بالبلوغ وتنتهى باكتمال النضج.

- بينما يرى «روم وروجر Rom and Roger» أن المراهقة مرحلة تطور فى حياة الإنسان تبدأ بالبلوغ وتبلغ ذروتها عند الوصول إلى مرحلة الرشد ولا يمكن إعطاء حدود قاطعة لمدة المرحلة إلا أننا نستطيع أن نعطي تقديراً عاماً حيث تغطي هذه المرحلة مدة عمرية من سن (١٢ - ١٩) سنة.

- أما «كاشى وإنجريد Kathy and Ingrid» يعرفان المراهقة بأنها مرحلة تحول من الطفولة المتأخرة إلى مرحلة الرشد، وتبدأ من سن العاشرة إلى الثانية عشرة ونهايتها من الثالثة عشر إلى الثانية والعشرين.

- بينما يعرف «جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفافى» المراهقة بأنها فترة التحول من الطفولة بما تتميز به من اعتمادية وعدم نضج إلى درجة نضج أكبر وإلى الاستقلالية فى الرشد وتبدأ مرحلة المراهقة بالبلوغ الجنسى، وبالنسبة للبنين تتراوح هذه الفترة بين العام الثالث عشر والعام الثانى والعشرين تقريباً، أما بالنسبة للبنات فهى تتراوح بين العام الثانى عشر والعام الواحد والعشرين تقريباً، وفى خلال هذه الفترة تحدث تغييرات كبيرة وأحياناً تكون مسببة للاضطراب بدرجات متفاوتة فى الخصائص الجنسية وصورة الجسم والاهتمام الجنسى والأدوار الاجتماعية والنمو العقلى ومفهوم الذات.

- أما المراهقة عند «كمال دسوقى» والتى تناولها من عدة زوايا فهى فترة فى النمو الإنسانى التى بين بداية البلوغ والوصول للرشد والأعمار التقريبية لهذه الفترة هى (١٢ - ٢١) سنة للبنات، إذ ينضجن أسبق من

الأولاد، (١٣ - ٢٢) سنة للذكور حيث نلاحظ تعقد الضغوط الاجتماعية لتعقيد المدنية أثنائها والرغبة فى التجرد من الروابط الأسرية والعشور على مركز فى الحياة المهنية للجماعة وتحقيق توافقات الجنس، مما يجعل علماء النفس الاجتماعيين يعتبرون المراهقة نتاجاً للضغوط فى المجتمع لا مجرد فترة فريدة من الشدة والتوتر البيولوجيين وهى كمرحلة انتقالية بين البلوغ والرشد يصير أثناءها الشاب أو الفتاة راشداً رجلاً أو امرأة.

- بينما يعرف «سامى عوض» المراهقة بأنها فترة فى حياة كل فرد تبدأ بنهاية الطفولة وتنتهى بابتداء مرحلة النضج أو الرشد، وهى إما أن تكون فترة طويلة الأمد أو قصيرة الأمد، كما أن طولها يختلف من أسرة إلى أخرى، ومن مستوى اقتصادى اجتماعى إلى مستوى آخر ومن حضارة إلى أخرى بل إن طولها قد يتذبذب فى المجتمع الواحد من وقت لآخر.

- بينما يعرفها «محمد حسن» بأنها فترة انتقال ما بين الطفولة والشباب وتتميز بالعديد من التغيرات الفسيولوجية والنفسية التى تؤثر بصورة بالغة على حياة الفرد فى المراحل التالية من عمره.

- أما «ميخائيل أسعد» يرى أن كلمة المراهقة تستخدم للدلالة على المرحلة التى يتم فيها تحويل الناشئ من الطفولة إلى الرشد، وأن تلك المرحلة لا ترتبط بفترة زمنية محددة البداية والنهاية بدقة، إلا أن بدايتها تنطلق من أول ظهور رموز البلوغ، وتستمر معها وتنتهى باكتمال نضج الفرد وبلوغ قامته أقصى طولها وذكائه أعلى درجاته وتشمل تلك الفترة الزمن الممتد بين الثانية عشرة والحادية والعشرين.

- بينما يشير «جابر كامل» إلى المراهقة بأنها مرحلة حرجة فى حياة الفرد ومليئة بالصراعات والضغوط الاجتماعية إلا أن بعض الدراسات قد أثبتت أن المراهقة مرحلة نمو عادى، وأن المراهق لا يتعرض لأزمة من

أزمات النمو ما دام هذا النمو يسير في مجراه الطبيعي أى أن هؤلاء يرون أن المراهقة مرحلة البحث عن الذات وتحقيقها، ومرحلة الحب، ومرحلة نمو الشخصية وصلها ومرحلة اكتشاف القيم والمثل.

- أما «محمود شوقى» يعرف المراهقة بأنها فترة عصيبة تمتد على وجه التقريب من الثانية عشرة إلى الثامنة عشرة (١٢ - ١٨) سنة ويواجه المراهق فيها تغيرات جوهرية ثلاثة وهى: (١) مواجهة التغيرات الجسمية والاضطراب الانفعالى الناتج عن النضج البدنى والجنسى، (٢) مواجهة الوضع المائل بين الطفولة والرشد، (٣) مواجهة اتجاهات الكبار نحوه والتناقض فى معاملتهم له خاصة الآباء.

- كذلك تعرف «كاميليا عبد الفتاح» المراهقة بأنها مرحلة انتقال من الطفولة إلى الرشد وتتضمن تغيرات جسمية ومعرفية واجتماعية وهى تبدأ فى حوالى سن (١٠ - ١٣) سنة وتنتهى فى حوالى سن (١٨ - ٢٢) سنة.

\*\* وإذا ما انتقلنا من تعريف المراهقة إلى تقسيم هذه المرحلة إلى مراحل فرعية، نجد أن علماء النفس قد اتفقوا تقريباً على تقسيم تلك المرحلة بهدف التمكن من دراستها بصورة أفضل إلى عدة مراحل، يؤثر كل منها فى بعضه البعض أى أنها فترة متصلة، وسنعرض بعضاً من هذه التقسيمات والتى فى ضوئها نلاحظ استمرار الاختلاف بين الباحثين حول تقسيم تلك المرحلة.

ترى «كول Cole» تقسيم المراهقة إلى ثلاث مراحل تمتد من (١٥ - ٢٠) سنة وهى:

(١) المرحلة المبكرة : من (١٥ - ١٦) سنة.

(٢) المرحلة المتوسطة : من (١٧ - ١٨) سنة.

(٣) المرحلة المتأخرة : من (١٩ - ٢٠) سنة.

فى حين يتفق «مصطفى فهمى مع هيرلوك Hurlok» على أنه يمكن تقسيم فترة المراهقة حسب الترتيب الزمنى كما يلى:

(١) ما قبل المراهقة : من (١٠ - ١٢) سنة.

(٢) المراهقة المبكرة : من (١٣ - ١٦) سنة.

(٣) المراهقة المتأخرة : من (١٧ - ٢١) سنة.

بينما تشير «سهير سليمان» إلى أن مرحلة المراهقة يمكن أن تقسم إلى:

(١) المراهقة المبكرة : من ١٢ - ١٥ سنة (المرحلة الإعدادية).

(٢) المراهقة الوسطى : من ١٥ - ١٨ سنة (المرحلة الثانوية).

(٣) المراهقة المتأخرة : من ١٨ - ٢١ سنة (المرحلة الجامعية).

فى ضوء العرض السابق، لتعريفات وتقسيمات مرحلة المراهقة نستخلص النقاط التالية:

(١) مرحلة المراهقة من أدق وأخطر المراحل التى يمر بها الإنسان.

(٢) المراهقة مرحلة تبدأ بنهاية الطفولة وتنتهى بابتداء مرحلة النضج.

(٣) تتميز مرحلة المراهقة بالبلوغ وما يتبعه من تغيرات تشمل كافة جوانب الشخصية.

(٤) المراهقة مرحلة مليئة بالمشكلات والصراعات والعواصف والضغوط.

(٥) المراهقة مرحلة نضج جسمى لا يقابلها اكتمال نضج اجتماعى مماثل.

(٦) عدم الاتفاق بين الباحثين حول بداية ونهاية مرحلة المراهقة.

(٧) عدم الاتفاق بين الباحثين حول التقسيمات الفرعية لمرحلة المراهقة.

(٨) تتخذ مرحلة المراهقة أشكالاً وصوراً متعددة تتباين بتباين الظروف

والعادات والأدوار الاجتماعية وذلك من مجتمع لآخر بل وفى إطار

المجتمع الواحد بين ريفه وحضره وفى الطبقات الاجتماعية

والاقتصادية المختلفة.

(٩) وبينما نجد من التعريفات من لا يهتم بالسن الذى تقع فيه فترة المراهقة وتعرفها بأنها فترة الحياة التى تقع بين الطفولة المتأخرة وفترة الرشد وهى فترة ليس لها بداية أو نهاية محددة وتتميز بتغيرات جسمية وعقلية، كما وصفها «فرويد» بأنها فترة نهاية التحول أى المرحلة التى تقترب كثيراً من النضج عندما تقوم القوى الداخلية للفرد بتأثير قلق النمو بتغيرات كيفية فى مسارات الأنا، وهذا ما أشار إليه «ايريكسون Erik-son» أنه بانتهاء التوحد بالأبوين تبدأ آثار هذا التوحد فى الظهور ومنها اتخاذ شخصية المراهق لأشكال مختلفة.

(١٠) نجد من التعريفات من يهتم بما يمكن أن نطلق عليه مؤشرات المراهقة ونرى أنه بالرغم من أن المراهقة فترة انتقالية فى حياة الفرد بين الطفولة والبلوغ، إلا أن هناك جدل بين علماء النفس فيما يتعلق بالبداية والنهاية الصحيحة لهذه الفترة، مع اتفاقهم على التغيرات والنمو المتزايد للمراهق إلى جانب ظهور سمات الجنس الثانوية، والاهتمام المتزايد بالموضوعات الجنسية والجنس الآخر، واهتمام المراهق بنفسه وشعوره بالندية لمن هم أكبر منه سنًا ومقامًا وإحساسه بالمزيد من المسؤولية والتى اعتبروها مؤشرات للمراهقة، إلا أنه لا يوجد اتفاق عام حول أى هذه التغيرات تعرف المراهقة وأى السمات يغلب ظهورها فيها.

## (٢) المراهقة والبلوغ

كانت الشعوب البدائية والمدنيات القديمة تعتبر البلوغ والمراهقة ظاهرة واحدة حيث يعد الطفل شخصاً راشداً حينما يكون قادراً على التناسل، أما اليوم فيستخدم «مصطلح المراهقة» بمعنى أوسع ليشتمل النضج العقلي والانفعالي والاجتماعي وكذلك النضج الجسمي، فالمراهقة فترة عمرية فيها يكون من المتوقع إعداد الفرد لحياة الرشد عن طريق استبدال الاتجاهات والأنماط السلوكية الطفولية بتلك المميزة للكبار.

والمراهقة كمرحلة عمرية قد يجرى تعريفها - كما سبق الإشارة - بطرق متعددة فمن ناحية النمو الجسمي تعنى المراهقة بالنسبة للفرد أنها تلك الفترة التي تبدأ فيها العلاقات أو الدلائل الأولى للانتقال إلى النضج الجنسي، وتنتهي تلك الفترة حينما يتوقف النمو الجسمي تقريباً في حوالي سن (١٧ أو ١٨ سنة) ومن ناحية الاستجابات الاجتماعية يمكن تحديد المراهقة على أنها تلك الفترة التي تبدأ بزيادة الاهتمام بالجنس الآخر وتنتهي بتحقيق الاستقلال الاجتماعي والاقتصادي عن الوالدين، والمراهقة بذلك هي مرحلة من النمو التي تقع بين الطفولة والرشد مرحلة نمائية انتقالية من عالم الأطفال إلى عالم الكبار.

وتعقيباً على ما سبق، فقد لاحظت أن البعض يخلط بين كلمة المراهقة «Adolescence» وكلمة البلوغ «Puberty» ولكن يجب التمييز بينهما.

فبينما تعنى المراهقة كما يعرفها «آدامس Adams» مرحلة التدرج نحو النضج بجوانبه الجسمانية والجنسية والعقلية والنفسية، نجد أن البلوغ يعنى على وجه التحديد نضج الأعضاء الجنسية واكتمال وظائفها عند الذكر والأنثى وعلى ذلك يتضح أن البلوغ يقصد به جانب واحد من جوانب المراهقة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن البلوغ يأتي قبل الوصول إلى مرحلة المراهقة، ففي بداية مرحلة المراهقة تحدث تغييرات كثيرة ومن أهمها النضج الجنسي حيث تبدأ الغدد الجنسية في هذه المرحلة بالقيام بوظائفها.

وفى هذا الإطار يتحدث «روسو Rousseau» عن البلوغ قائلاً: إنه ولادة جديدة حيث تظهر وظائف جديدة بطريقة فجائية وتصبح مسيطرة على التنظيم السيكولوجى، إن جوهر البلوغ هو نضج الغدد الجنسية وهو مرحلة من مراحل النمو يتحول عندها الفرد من كائن لا جنسى إلى كائن جنسى، ومرحلة البلوغ مرحلة فريدة ومتميزة فى النمو وذات خصائص لا توجد فى فترة أخرى من مراحل الحياة، إذ إنها فترة تداخل فيما بين الطفولة والمراهقة، وفى خلالها لا يصبح الطفل طفلاً نظراً للتغيرات الحادثة فى سلوكه وجسمه، ولكنه لم يصبح مراهقاً بعد، وهى فترة قصيرة نسبياً إذ تستمر فيما بين سنتين إلى أربع سنوات ويحدث خلالها تغير جسمى وسيكولوجى سريع.

وكان يعتقد قديماً أن للجو أثراً كبيراً على الإسراع فى النضج الجنسي، فالأطفال الذين ربوا فى أجواء حارة كان من المفروض أن ينضجوا مبكرين عن الأطفال الذين نشأوا فى أجواء باردة، ولكن الأبحاث الحديثة فشلت فى تحقيق هذا الغرض.

وللبلوغ ثلاث مراحل، وهى مرحلة ما قبل البلوغ عندما تكون الخصائص الجنسية الثانوية بادئة فى النمو ولكن الوظيفة الإنتاجية لم تنضج بعد، ومرحلة البلوغ وفى أثنائها تكون الخصائص الجنسية الثانوية مازالت مستمرة فى النمو، ومرحلة ما بعد البلوغ أو مرحلة النضج وعندها تكون الخصائص الجنسية الثانوية قد نمت بدرجة جيدة وتكون الأعضاء الجنسية عاملة بطريقة ناضجة.

أما عن سن البلوغ، فقد استخلصت وذلك فى ضوء بعض الكتابات الحديثة أنه يختلف باختلاف الجنس والظروف المادية والاجتماعية والمناخية التى يعيش فيها المراهق.

فعن علاقة الجنس بالبلوغ لوحظ أن الإناث يصلن إلى مرحلة النضج الجنسي فى سن مبكرة عن الذكور بمدة تبلغ نحو عامين فى المتوسط تصل الإناث إلى هذه المرحلة فى حوالى سن الثانية عشرة بالمقارنة بسن الرابعة عشرة فى حالة الذكور، وينبغى الإشارة إلى أن هناك فروقاً فردية واسعة بين الأفراد

فى سرعة نموهم واكتمال نضجهم، وهناك علاقة بين نضج المراهق والعوامل البيئية كالتغذية والمناخ والحالة الصحية، فنجد أن حالات الضعف العام أو المرض الطويل قد تؤدى إلى تأخر النضج الجنسى، فالمراهقة ما هى إلا محصلة التفاعل بين العوامل البيولوجية والثقافية والاقتصادية التى تؤثر فى المراهق.

فسن البلوغ يختلف من مجتمع إلى آخر ويتغير بمرور الزمن فى نفس المجتمع، حيث تذكر «برود هيرست Broad Hurst» أن سن البلوغ قد انخفض فى إنجلترا والنرويج من (١٥, ٥ سنة) عام ١٨٥٥ إلى ما يقرب من (١٣ سنة) فى عام ١٩٥٠.

وتعليقاً على الحدود الفاصلة بين مفهومى المراهقة والبلوغ نرى أن المراهقة وكما يعرفها بعض العلماء تدرج نحو النضج البدنى والجنسى والعقلى والانفعالى والدينى.

أما البلوغ، فلا يقتصر إلا على ناحية واحدة من نواحي النمو وهى الناحية الجسمية، ويعرف بأنه «نضوج الغدد التناسلية واكتساب معالم جنسية جديدة تنتقل بالطفل من فترة الطفولة إلى فترة الإنسان الراشد.

### (٣) النظريات المفسرة لمرحلة المراهقة

قدم علماء النفس تفسيرات عديدة لما يعانيه المراهقون فى هذه المرحلة من أزمات، ففى هذه المرحلة كما يشير العلماء ينتقل المراهق من عالم إلى عالم آخر ومن جماعة إلى جماعة أخرى ومن حياة قديمة إلى أخرى جديدة، وأن هذا الانتقال قد يؤدى إلى تخلخل الأسس القديمة التى تشبع بها الطفل خلال حياته السابقة.

●● وفيما يلي عرض لأهم الاتجاهات النظرية المفسرة لمرحلة المراهقة والتي يمكن أن تصنف فى الآتى:

- ١ - « ستانلى هول » والاتجاه البيولوجى.
  - ٢ - « مرجريت ميد » والاتجاه الاجتماعى.
  - ٣ - « سولنبرجر » والاتجاه البيولوجى الاجتماعى.
  - ٤ - « فرويد » والاتجاه النفسى الجنسى «السيكودينامى».
  - ٥ - « اريكسون » والاتجاه النفسى الاجتماعى.
- وخلال السطور التالية سنوضح بإيجاز مضمون كل نظرية على حدة:

#### ١ - « ستانلى هول » والاتجاه البيولوجى

تعتبر نظرية « ستانلى هول Stanley Hall » من أوائل النظريات التى تناولت تفسير أزمة المراهقة، حيث يؤكد كثير من الباحثين أن الاهتمام الكلى بالخصائص النفسية المتصلة بنمو المراهق قد برزت جلية فى كتابات « ستانلى هول » نتيجة لسعة الاستبيانات التى قام بها، ونتيجة لكثرة المعطيات والمعلومات التى قد حصل عليها لدى اطلاعه على عدد من السير الشخصية لكثير من الناس.

ففي كتابيه الضخمين حول المراهقة (سنة ١٩٠٤) صور فيهما حياة الفرد تصويراً يتسم بالشدّة والتوتر حيث اعتبرها مرحلة عواصف وضغوط «Storm and Stress» تولد فيها الشخصية من جديد، وذهب إلى أن المراهق إنسان تائه، سريع الانفعال غير متزن، لا نستطيع أن نتنبأ بما سيفعله لكثرة تقلباته الانفعالية، وعدم استقراره النفسي مما يخلق لديه أزمة حتمية بسبب جملة التغيرات الفسيولوجية والبيولوجية التي يعيشها أثناء وبعد البلوغ، وما يتبعها من معاناة وإحباط وصراع وقلق ومشكلات وصعوبات توافقية.

ورغم ما يذهب إليه «هول Hall»، فقد لاحظت أن بعض المحللين النفسيين يعتقدون أنه قد بالغ في حتمية الاضطراب «الثورة والعصيان» في هذه المرحلة من الحياة.

## ٢ - «مرجريت ميد» والاتجاه الاجتماعي

وعلى خلاف ما ذهب إليه «هول Hall» تؤكد «ميد Mead» والتي تمثل الاتجاه الاجتماعي أنه عندما يمر المراهقون بصعوبة يجب على الفرد أن ينظر إلى الثقافة ليكتشف المشكلة، فمثلاً يعاني المراهقون في أمريكا من التوتر والقلق وشدّة الانفعال في حين أن الأبحاث على قبائل «الساموا Samoa» (سنة ١٩٢٥) بينت أن فترة المراهقة هناك تعتبر فترة سرور وبهجة وخلو من الشدة والتوتر.

حيث إن المراهقين في هذه القبائل يأخذون أدواراً أساسية ويتحملون العديد من المسؤوليات مما يجعل فترة المراهقة لا تمثل أزمة بقدر ما هي فترة تتسم بالهدوء النسبي، ومن ثم فالقول بقلق المراهقين واضطرابهم فكرة ليست قاطعة ونهائية ولا تفسر سلوك المراهقين في كل المجتمعات.

ومن هنا أرى أنه يمكن القول وفقاً لرأى «ميد Mead» أن أزمة المراهقة أو بداية الشباب تختلف في شكلها ومضمونها وحدتها من مجتمع إلى مجتمع ومن حضارة إلى حضارة أخرى، فالأزمة لا تكون استجابة لتغيرات

نفسه وإنما تكون استجابة للحضارة والمجتمع الذى يعيش فيه وللتغيرات التى تطرأ عليه.

وفى ضوء دراسة «ميد» ضعفت وجهة نظر الاتجاه البيولوجى وأصبح من الواضح أن بعض مظاهر المراهقة لا تتصف بالعمومية وأن درجة الضغط والصراع التى يتعرض لها المراهق إنما تعود بالدرجة الأولى للفارق الحضارى والثقافى من مجتمع لآخر، فالمراهقة كفترة انتقالية يمكن أن تتصف بالهدوء النسبى فى مقابل العاصفة الشديدة فالأمر يتوقف على المحيط الاجتماعى والثقافى المحيط بالفرد، ومن ثم فقد أرجعت «ميد» مشاكل المراهقين إلى وجود معايير متصارعة وقيم ثقافية متعارضة فى اختبارات الفرد، ومن ثم فخبرات المراهق تتغير بتغير المناخ الثقافى.

كما يزودنا المجاليون بصورة حية ونموذج لأثر المعطيات والمدلولات التى تبناها علماء الانثروبولوجيا الذين يؤكدون على الجانب الثقافى لظاهرة المراهقة وفى تفسيرهم لأثر التغيرات التى تحدث فى البيئة على تخيلات الفرد وتصوراتهِ حيث يشير «ليثين» بأن سلوك الفرد يعتمد على طول مجال حياة الإنسان على هذه الأرض والتى تشمل فى الواقع حياة الفرد فى محيطه النفسى أى المحيط أو البيئة من خلال رؤيته الذاتية وتتميز حياته وتتحدد بأبعاد الواقع.

ويستطرد «ليثين» مصوراً مشكلة المراهق على أنها سوء توجيه فالمرهق يشبه رائد الفضاء الذى يهبط على كوكب غير معلوم (غير مألوف) فكل شئ بالنسبة له يكون جديداً، ومن ثم فالتغيرات التى يتعرض لها المراهق الصغير تجعله «رجلاً هامشياً».

فهو يجتاز - أى المراهق - أرضاً محايدة ليست ملكاً لأحد فلا هو بالطفل ولا هو بالراشد وإنما هو محصور فى منطقة تداخل القوى المؤثرة والتوقعات فهو فى وضع غامض لا يعرف بوضوح كاف من هو، وما المطلوب منه، وما المسموح له به، وما يتقبل منه وهذا ما يعكس وضعه كإنسان هامشى.

ومن ثم أرى أن مفهوم « ليقين » عن المراهقين كأشخاص هامشين يشير إلى الحاجة إلى تحسين الاتصال بالمراهقين وتوفير فرص الاستقلال لهم وتنمية الشعور بالمسئولية، وأن يكونوا مصدراً للمعلومات المساعدة وذلك لضمان الاستقرار بين الكبار والمراهقين.

### ٣ - « سولنبرجر » والاتجاه البيولوجى الاجتماعى

وفقاً لما أشار إليه « ستانلى هول » وما تؤكده « ميد » وما بينه « ليقين » يرى « سولنبرجر Sollenperger » أن المراهقة بيولوجية اجتماعية على السواء وهذا الاتجاه الأخير عبر عنه « سولنبرجر » فى مقال نشره سنة ١٩٣٩ بعنوان مفاهيم عن المراهقة « The concept of adolescence » ، يؤكد فيه أن المجتمع نفسه لا يعطى للمراهق فرصاً كافية للقيام بالدور الذى يتفق ومستويات نضجه الجسمى والعقلى ونزعتة إلى التحرر والاستقلال ومن هنا ينشأ الإحباط والصراع الذى تتسم به المراهقة.

إلا أن هذه المشكلات وذلك الصراع - كما استخلصت فى ضوء الاتجاه البيولوجى الاجتماعى - ليس وليد الثقافة وحدها بل هو نتيجة للتفاعل المتبادل « Interaction » بين العوامل البيولوجية والعوامل الاجتماعية التى يعيش فيها الفرد، وهكذا نستطيع أن ننظر إلى المراهقة لا على أنها تمثل فترة مستقلة منفصلة عن مراحل النمو وإنما باعتبارها مرحلة انتقال مستمرة من الطفولة إلى الرجولة.

وهنا يؤكد « سولنبرجر » على أن المراهقة إذا كانت فترة انتقالية - كما ذكر ليقين - إلا أنها ميلاد جديد من رحم قديم أى ميلاد من طفولة تؤثر فى هذا الجديد ليؤثر هذا الجديد بعد ذلك فيما يولد من رحمه، فالمراهقة تتأثر بما هو سابق عليها (الطفولة) وتؤثر فيما هو لاحق بها (الرشد) فلا انفصال بين المراحل النمائية للفرد.

وهذا ما سنلمسه واضحاً جلياً لدى كل من: « فرويد واريكسون »، ورغم أن كل منهما يمثل اتجاهًا متميزاً عن الآخر فى سيكولوجية المراهقة إلا أنهما لا ينفصلان كثيراً وهذا ما سيتضح فيما بعد.

#### ٤ - « فرويد » والإتجاه النفسى الجنسى (السيكودينامى)

يؤكد أنصار مدرسة التحليل النفسى، أن بنية الشخصية تتعرض لتعديل فى طور المراهقة فقد كانت «الأنا ego» قبل حلول هذه الفترة تشغل مركزاً متوسطاً بين «الهو ID» والأنا الأعلى «Super ego» وتتولى مهمة التوفيق بينهما على نحو يكفل لكل منهما إشباعه المنشود، وطبقاً للتصور الفرويدى لسيكولوجية المراهقة فإن وظيفة «الأنا» فى هذا الصدد يطرأ عليها نوع من التشوش والاضطراب نتيجة لانخراط الفرد فى طور البلوغ، ويبدو «الهو ID» فى هذا الوقت محكوماً أو موجهاً بتأثير الحفزات الجنسية متخفية مجرد الحصول على اللذة إلى الرغبة فى التناسل والتكاثر أيضاً.

وكانت «الأنا الأعلى Super ego» حتى حلول هذه الفترة الحرجة، قد شرعت فى ممارسة وظيفتها واستقرت على إطار هذه الوظيفة وحددت ملامحها خلال سنوات الكمون وذلك عن طريق التوحد «Identification» مع الوالدين والمثل العليا الموقرة فى المجتمع، ولكن مع حلول هذه الفترة الحرجة تهتز دعائم الأنا الأعلى نتيجة للتغيرات التى طرأت على علاقة المراهق بوالديه خاصة الوالد الذى يتفق معه المراهق فى الجنس فقد كان هذا الوالد نموذجاً يقتدى به المراهق منذ الطور الأوديبى.

وطبقاً لما يذهب إليه التصور الفرويدى فى هذا الصدد، فإن الارتباط الأوديبى بين المراهق ووالده الذى يختلف معه المراهق فى الجنس أثناء المرحلة القضيبية - أى فى حوالى سن أربع سنوات تقريباً - يطرأ عليه نوع من التعويق نتيجة اضطراب المراهق إلى كبت كل ما يشعر به وقتئذ من مشاعر شبقية تجاه الوالد حيث تظل قائمة عند مستوى اللاشعور وقامس تأثيرها من خلاله.

وبحسب رأى «فرويد» نشير إلى أن كثيراً من صور السلوك الطفلية فى مرحلة المراهقة ربما كانت بقايا أو آثاراً لعمليات الكبت والقمع التى تحدث لبعض التصرفات والرغبات فى مرحلة الطفولة.



ثابتاً للأداءات يشبع دفعاته التناسلية، وتمتد المراهقة المتأخرة ابتداءً من تكوين نمط من النشاط التناسلي المتصل عبر خطوات لا عدد لها من التعلم والافتداء حتى يكون بناءً من العلاقات الشخصية المتبادلة المكملة الإنسانية أو الناضجة بقدر ما تسمح به الفرص الشخصية والثقافية المتاحة.

وتعد المراهقة بمثابة فترة للميلاد النفسي للكائن البشرى، ميلاده النفسى كذات فريدة تعى لأول مرة وجودها فى عالم اكتملت له بالدلالة الجنسية أبعاده، فالمرهقة ليست إلا تحولاً من الميلاد الكمى للإنسان (وجود الإنسان كوجود فيزيائى) إلى الميلاد الكيفى للإنسان (وجود الإنسان كوجود نفسى) كذات فريدة واعية.

فالكائن البشرى كما يشير العلماء يولد فى هذه اللحظة التى يعى فيها وجوده بشكل مكتمل بدنى ونفسى معاً فى عالم اكتملت بالدلالة الجنسية أبعاده، ويبدأ الوجود الحقيقى للكائن البشرى فى المراهقة بفكرة الصراع بين جيلين: جيل الآباء وجيل الأبناء وتبدأ ثورة الأبناء على فكر وفلسفة الآباء لوجود فكر وفلسفة للأبناء تناقضها، ويحاول الآباء تجريد المراهقين من كل ثقة تفرغ الاستقلالية المسرفة فى وجه التبعية والتسلطية للوصول إلى تبعية متبادلة.

ونظراً لأن المراهق يواجه بمدد هائل من الطاقة الجنسية الغامرة عند البلوغ حيث تصبغ عالمه بالجنسية مما يحطم الاتزان القديم، فينشأ عصاب صدمى يظهر على أثره أعراض انفعالية مثل: سرعة القابلية للتهيج ونوبات غضب وقلق وأحلام يقظة، ويحاول المراهق إعادة حالة الاتزان من جديد من خلال تجربة كل الإمكانيات وسائر الدفاعات لحل صراعاته التى يعيشها ليخلص إلى تسوية ومصالحة وائتلاف ليبتعد عن مجرد الوجود «كنقيض» بل يصبح هوية فريدة تتماثل مع غيرها من الهويات وإن تفردت عن سائر الهويات الأخرى.

فى ضوء الاتجاهات النظرية السابقة (الاتجاه: البيولوجى - الاجتماعى - البيولوجى الاجتماعى - النفسى الجنسى) يتضح - عزيزى القارئ - أن دراسة

سيكولوجية المراهق اعتمدت على مبدأ الحتمية البيولوجية والتركيز على الطاقة الجنسية على نحو ما وجد لدى «ستنالى هول» و«فرويد» وكان للزاوية الاجتماعية والعناصر الثقافية النصيب الأكبر فى دراسات «ميد وليثين» غير أن «إريك إريكسون Erik Erikson» يطالعنا باتجاه جديد - بُنى بإحكام على أرضية من الاتجاهات السابقة عليه - فى دراسة المراهقة ويظهر ذلك من خلال نظريته فى النمو النفسى الاجتماعى للفرد .

#### ٥ - «إريكسون» والاتجاه النفسى الاجتماعى

المراهقة كما يؤكد إريكسون فى ضوء الاتجاه النفسى الاجتماعى، أعنف ما يواجه الإنسان فى مراحل تطوره ، فالجسد يعود مرة أخرى ليقحم نفسه على الوجود من خلال نموه المفاجئ فى الحجم والشكل علاوة على التغيرات الكيميائية (الهرمونية) مما يصيب الشاب بهزة فى كيانه تجعله يكاد يفقد التعرف على نفسه فيسأل بإلحاح وعمق (من أنا؟) وهنا تبرز مشكلة الهوية التى تكون جوهر الصراع فى هذه المرحلة من حياة الإنسان.

هذا وقد عرض «إريكسون Erikson: 1968»، تحليلاً مفصلاً لهذه المرحلة أكثر من أى مرحلة أخرى من مراحل نمو «الأنا» وذلك لاعتبارها -من وجهة نظره- مهمة فى تشكيل سلامة الفرد النفسية والاجتماعية ويشير «إريكسون» أن التغيرات التى يواجهها المراهق فى هذه المرحلة (التي تعتبر فترة تحول حاسم بين الطفولة والرشد) ينتج عنها كثير من المشكلات النفسية والاجتماعية، وتزداد ثقة الفرد إذا ما واجه تحديات هذه المرحلة بنجاح.

ويؤكد «إريكسون Erikson: 1963» أنه فى هذه المرحلة - المراهقة - يظهر بعد نفسى اجتماعى جديد، طرفه الإيجابى هو الإحساس بهوية الذات وطرفه السلبي هو ارتباك وخلط الأدوار، والمهمة الرئيسية التى تواجه المراهق فى هذه المرحلة هى إدماج كل معرفة اتخذها عن نفسه سواء (كابن، أو ابنة - كطالب - كرياضى - كموسيقى ... إلخ) فى ائتلاف هوية ذاتية تبين الوعى بالماضى والمستقبل الذى يترتب منطقياً على هذا الماضى والصراع النفسى

الاجتماعى فى هذه المرحلة هو صراع داخل «الأنا» نفسها بين تأكيدها لهويتها وتحديد هذه الهوية فى مقابل عدم تحديدها.

ويمكن أن نطلق على المراهقة بأنها مرحلة تأجيل «Moratorium» والتي يجد الفرد نفسه أثناءها مستكشفاً للتغير الذى طرأ على أنماط الحياة فى الطباع وكذلك فلسفات الحياة قبل أن يلزم نفسه تماماً بأى واحدة منها.

ويمكن أن نطلق عليها أيضاً مرحلة تقنين الذات خلال البحث عن كل من الهوية الجنسية والعمرية والمهنية والاجتماعية، فالشاب فى هذه المرحلة يبحث عن الإحساس بذاته وهذا الإحساس ينطوى على الالتزام بأدوار يتطلع المراهق لاختبارها فهو يريد أن يحقق دور الراشد المستقل عن الأسرة والزميل المخلص لقيم الأصدقاء، وفى الوقت نفسه الابن الطيب فى أسرته.

وتكمن الأزمة الحقيقية هنا فى محاولة المراهق للتوفيق بين المتطلبات المتعارضة لهذه الأدوار، وهو فى بحثه عن التوفيق بين التوقعات المختلفة لكل دور قد ينجح متجاوزاً أزمته وبالتالي مشكلاً هويته ومبادئه الشخصية الذاتية.

ويصف «إريكسون» نتائج عدم منح الشباب حرية تجريب أدوار مختلفة فيقول: لو شعر المراهق بأن البيئة تحاول أن تحرمه من كل صور التعبير التى تسمح بتطوير وتكامل الخطوة التالية فى هوية «أناه» فإنه سيدافع عنها بقوة مذهلة تشبه قوة الحيوانات التى فرض عليها الدفاع عن حياتها.

ويؤكد «إريكسون» أن مرحلة المراهقة تمثل تأجيلاً اجتماعياً نفسياً للرشد بالطريقة نفسها التى تتيح بها مرحلة الكمون تأجيلاً نفسياً جنسياً، والمقصود بفترة التأجيل هذه الفترة التى تمنح لشخص ما حين لا يكون مستعداً للوفاء بالتزاماته، ويرى «إريكسون» أن المراهقة ليست فقط تأجيلاً لوفاء المراهق بالتزامات الراشدين وإنما هى أيضاً فترة تتميز بالتسامح (الاختياري) من جانب المجتمع وباللهو الاستفزازى من جانب الشاب ويقبول رسمى بالالتزام من قبل المجتمع.

انطلاقاً مما سبق، أرى (فى ضوء الاتجاه النفسى الاجتماعى لإريكسون) أن الرشد لا يعنى فقط اكتمال النمو من الزاوية البدنية، بقدر ما يعنى فى المقام الأول اكتمال دعائم هذا النضج من الناحية النفسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن ثم فالمراهقة من حيث هى فترة أزمة لا ترجع فى هذا الطور إلى أطوار النمو فى ذاته وإنما ترجع فى المقام الأول إلى مشاكل الحياة الراشدة التى يتأهب المراهق للانتقال إليها.

فالفرد إذاً فى مرحلة المراهقة، بحاجة إلى الوقت لكى يدمج نفسه إدماجاً كاملاً فى مرحلة الرشد كما أن المجتمع يسمح له بذلك الوقت ويجرب الشاب أنماطاً من الهوية قبل أن يصل فى النهاية إلى تحديد نهائى لذاته وهويته.

ويذهب «إريكسون 1982: Erikson» إلى أن عملية تكوين الهوية ليست عملية بسيطة تشير إلى حاصل جمع كل خبرات الطفولة والنضج البيولوجى، ونمو الأنا وإنما هى بالأحرى كيان Configuration بسبيله للتكوين أو الظهور «Evolve» وهو كيان تتكامل فيه تدريجياً المعطيات التكوينية والحاجات الليبيدية والقدرات المميزة والتوحدات ذات الأهمية والدفاعات الفعالة والإعلاء الناجح، والأدوار المتسقة وكلها تظهر فقط نتيجة لتفاعل المتبادل بين الإمكانيات الفردية والنواحى التكنولوجية فى المجتمع بالإضافة إلى الأيديولوجيات السياسية والدينية فى مجتمع ما.

من خلال العرض الموجز السابق، تناولنا - عزيزى القارئ - أهم النظريات المفسرة لمرحلة المراهقة، وقد اتضح عدم الاتفاق بين الباحثين والعلماء عند تناولهم لتلك التفسيرات النظرية فلكل منهم وجهة نظر تختلف عن الآخر، وانطلاقاً من ذلك وفى ضوء أن المراهقة هى نتاج لتفاعل العوامل الوراثية مع العوامل السوسولوجية (البيئية - الاجتماعية) وكذلك العوامل السيكولوجية (النفسية)، فيجب عدم الاقتصار على تفسير دون الآخر، أى أنه لكى نتمكن من فهم طبيعة مرحلة المراهقة فلا بد من أسلوب متكامل يجمع كافة الأبعاد.

#### ( ٤ ) خصائص وسمات مرحلة المراهقة

فترة المراهقة لها خصائصها ومزاياها التي تميزها عن أى فترة أخرى من حياة الفرد نظراً للتغيرات السيكولوجية «النفسية» التي تطرأ على الفرد، فهي مرحلة المرونة ويكون المراهق فيها على استعداد للتشكيل وتدخل القديم وتقبل الجديد، ويؤدى ذلك بدوره لاضطرابات لدى الأفراد، ونبذهم لمعتقداتهم السياسية والدينية فقد يتخبطون فى آرائهم تجاه ما يواجههم من آونة لأخرى.

ويعتبر العناد من أهم سمات المراهق، فإذا اهتم الوالدان بالنظافة رغبة فى أن يتعودها فإنه يقاوم ويتخذ النقيض بإهمال مظهره وملبسه والعزوف عن نظافة غرفته، بل ويجد لذة فى أن يظهر بمظهر القذارة والإهمال، وإذا اهتمت الأسرة بالتمسك بالأخلاق الحميدة فإنه يجنح نحو السلوك الذى لا ترضى عنه، فهو يثير المشكلات مع الناس ويحطم الهدوء المنشود فى الحياة المنزلية، وإذا أظهر الوالدان اهتماماً بغذائه انصرف هو عن الغذاء حتى لو وقع فريسة المرض والهزال، وهكذا الحال بالنسبة للدراسة؛ يقاوم إلى درجة أن يهبط إلى مستوى التأخر الدراسى وخاصة إذا آملت الأسرة تفوقه.

وفى ضوء ذلك نؤكد على مسألة مهمة - كأحد أشكال العناد - تقلق الوالدين وتجعلهما فى عراك دائم مع المراهق وهى عادة تدخين السجائر، فإذا أبدى الوالدان عدم الرضا عنها كعادة سيئة لما تسببه من أضرار صحية وفسية ومادية، فإن المراهق يسرع وينغمس فى التمسك بهذه العادة.

من ناحية أخرى، فإن هذه الفترة «المراهقة» هى مرحلة النضج الجنسى ودخول المراهق عالماً جديداً فيه لذة وإثبات لرجولته إلا أنه يجد نفسه أمام القيود الأخلاقية التى تحول بينه وبين هذا العالم المحيط به، وهذا يحتاج بدوره لإشباع لاتجاهاته وغرائزه بوازع قوى وليس هناك أقوى من الوازع الدينى فى توجيههم الوجهة الصحيحة.

وفى هذا الإطار، يشير «فليب ريس 1981: Philip Rice» إلى مرحلة المراهقة على اعتبار أنها مرحلة ذات طبيعة بيولوجية واجتماعية على السواء، تبدأ بالبلوغ الجنسي للجنسين وتنتهى بالنضوج والاستقلالية فى الرشد وانطلاقاً من ذلك فهناك العديد من الخصائص والسمات التى تميز مرحلة المراهقة ومنها:

(١) التطلع والرغبة فى الاستقلال والتحرر من السلطة الأبوية والأسرة.

(٢) الشعور بالانتماء إلى الأصدقاء فى نهاية الفترة.

(٣) الميل إلى التحرر من العرف والتقاليد.

(٤) البحث والمناقشة فى الموضوعات والظواهر غير الملموسة مثل: الفلسفة، السياسة، الاقتصاد، الدين، ... إلخ.

(٥) قد تظهر فى أواخر فترة المراهقة أعراض عدم الاستقرار، والانطواء، أو التصرفات الشاذة التى تثير قلق الكبار على المراهق.

وعلى الرغم من الاتفاق حول وجود اختلاف بين سلوك المراهقين وفقاً لاختلاف الوسط الثقافى والاجتماعى إلا أن ذلك لا ينفى أن هناك خصائص عامة ومظاهر مشتركة لتلك المرحلة، من تلك الخصائص والمظاهر، اهتمام المراهق بذاته وما طرأ عليه من تغيرات مختلفة، أيضاً التقلبات الانفعالية التى تجعله يتخبط بين الإيمان والإحاد، الشك واليقين، الاستقلال والتبعية، العناد والطاعة، الحب والكراهية، الاحترام والاحتقار، ... إلخ، وهو دائماً يقوم بتقييم علاقته بالآخرين وبنفسه، كما أنه يتجه إلى النقد والتمرد، وفى بعض الأحيان إلى الثورة على القيم والمعايير السائدة.

فمن الشائع أن نجد المراهق يبحث فى أخطاء الآخرين مع ميله إلى نقد تصرفات الغير، ونجد أن روح النقد شاملة فهى تتوجه ضد الأسرة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة، كما أن النزعة الاستقلالية تنمو بشكل ملحوظ فنجده يرفض أن يسيطر عليه الآخرون، ويميل إلى التمرد وتحمل المسؤولية، وفى بعض الأحيان يتجه إلى العصيان وتحدى عالم الكبار والخروج عن أى قوانين أو تقاليد وفى نفس الوقت يميل إلى التوجه إلى الآخرين.

فالمراهق يشعر دائماً بحاجته إلى التحرر من سلطة الوالدين بهدف التفرد وإبراز ذاته وفى نفس الوقت يسعى لتكوين علاقات جديدة مع الأصدقاء والزملاء تمكنه من التعبير عن نفسه كفرد وحصوله على التقدير أو الاعتراف الاجتماعى من خلال مشاركته فى الأعمال الجماعية، ففترة المراهقة إنما تمثل على حد تعبير «ميوش وكونجر وكاجن» شدة الفردية وشدة الاجتماعية، فالمراهق يشعر دائماً بحاجته إلى الآخرين من الأصدقاء والزملاء كما أن لديه العديد من الجوانب والأنشطة التى يفضل التفرد بها.

وبذلك فخصائص المراهق، كما يؤكد «Muss» تحتاج إلى مزيد من الحوار الذى يسمح له أن يعبر عن ذاته وأن يحقق استقلاله ويشعره بالمسئولية ويشبع رغبته فى النقد واكتشاف الحقيقة والبحث عنها، كما أن هذا الحوار الفكرى والعقلى يمكن أن يحقق نضجاً انفعالياً فيجعله لا يثور بسرعة ولا يبدو متهوراً أو متردداً فالنضج الوجدانى يتحدد بأسلوب التفكير والعمل والسلوك الذى يقوم به المراهق.

كما أرى أن النمو العقلى واللغوى للمراهق، يجعله لا يأخذ الأمور على أنها قضايا مسلم بها وإنما يقوم بعملية فحص وتحليل، والحوار يتفق وتلك الخصائص لأنه يساهم فى التفتح ذهنى والانتباه والإدراك، كما أن المراهق يمكن أن يكتسب قدرة على معالجة المسائل الاجتماعية بطريقة جدية ويقوم بتحليل المواقف تحليلاً دقيقاً.

فالمراهقون عموماً، يهتمون بالمشكلات الفردية والقضايا السياسية والاجتماعية أكثر من اهتمامهم بالمناهج الدراسية ويساعدهم فى ذلك نمو القدرة الاستقرائية التى تبدو فى سهولة اكتشاف القاعدة من جزئياتها، والقدرة الاستنباطية التى ستبدو فى سهولة معرفة الجزئيات تحت لواء قاعدة عامة والقدرة على إقامة الأحكام وهى من الملامح الأساسية للنمو العقلى للمراهق.

فى ضوء العرض المختصر السابق، نستخلص النقاط التالية كسمات وخصائص تميز مرحلة المراهقة:

- (١) القدرة على تداخل القديم وتقبل الجديد.
- (٢) مناقشة الموضوعات الدينية والسياسية.
- (٣) اهتمام المراهق بذاته وما طرأ عليه من تغييرات مختلفة.
- (٤) النقد والتمرد.
- (٥) الثورة على القيم والمعايير السائدة.
- (٦) العصيان وتحدى عالم الكبار.
- (٧) الخروج عن القوانين والتقاليد.
- (٨) الرغبة في التحرر من سلطة الوالدين.
- (٩) الرغبة في إبداء الرأى والتعبير عن الذات.
- (١٠) البحث فى أخطاء الآخرين.
- (١١) السعى لتكوين علاقات جديدة مع الأصدقاء.
- (١٢) الميل لتحمل المسؤولية وتحقيق الذات.

## (5) مظاهر النمو في مرحلة المراهقة

تناول بالدراسة والبحث مظاهر النمو في مرحلة المراهقة العديد من الباحثين والعلماء أمثال: Havighurst: 1953, Ausubel: 1955, Parker: 1960, Arthur: 1965, Santroch: 1993, Adams: 1994, ... إلخ.

وفى ضوء دراسات وأبحاث وكتابات هؤلاء العلماء، نستخلص أهم مظاهر النمو في مرحلة المراهقة على النحو التالي:

### ١ - النمو الجسمي

النمو الجسمي، في بداية مرحلة المراهقة المبكرة تزداد سرعته ويحدث ما يسمى بطفرة النمو «Growth Spurt»، وذلك لمدة ثلاث سنوات تختلف من الإناث للذكور، فتكون من عشر إلى أربع عشرة عند الإناث ومن اثني عشرة إلى ست عشرة عند الذكور.

ويزداد نمو العضلات وينتقل المراهق من فترة الكمون إلى فترة البلوغ، ويزداد الطول زيادة سريعة ويبدو الأنف كبيراً بالنسبة للوجه، ويكون النمو الجسمي غير متناسق مما يقلق المراهق ويجعله يعاني من النقص ويزداد حرجه بخصوص شكله.

### ٢ - النمو الانفعالي

من مظاهر النمو الانفعالي في هذه المرحلة، أن المراهق قد لا يستطيع التحكم في انفعالاته وضبطها، كما أن سلوك المراهق يكون متقلباً بين سلوك الأطفال وتصرفات الكبار، ويسعى نحو تحقيق الفطام النفسي، والاستقلال عن الوالدين وتكوين شخصية مستقلة، كما يلاحظ عليه التردد نتيجة لعدم الثقة بالنفس وكثيراً ما يستغرق في أحلام اليقظة.

وكذلك قد يرجع الاضطراب الانفعالي إلى عدم قدرة المراهق على الملاءمة مع البيئة التي يعيش فيها، وأن هذه البيئة الخارجية الممثلة في الأسرة والمدرسة

لا تعترف بما طرأ عليه من نضج ولا تقر برجولته، مما يجعل المراهق يفسر كل مساعدة من والديه على أنها تدخل في شئونه، ويأخذ الاعتراض على سلوكه والديه أشكالاً متعددة منها: العناد والسلبية، كما يرجع هذا الاضطراب إلى عجز المراهق المالى الذى قد يقف ضد تحقيق رغباته، وأنه يجد نفسه وسط جماعة من رفاقه ينفقون على سعة وهو فى نفس الوقت عاجز عن مجاراتهم مما يسبب له الضيق، ويزيد من حدة التوتر الانفعالى له.

ومن هنا: يتضح أن المناخ الانفعالى يلعب دوراً كبيراً فى النمو الانفعالى للمراهق، فالمناخ الانفعالى الملىء بالحب والفهم والرعاية ضرورى جداً، بل ومن الأمور المهمة للنمو الانفعالى السوى للمراهق، ويتأثر النمو الانفعالى بالتغيرات الجسمية الداخلية والخارجية والقدرات العقلية والمعايير الاجتماعية.

وقد تصنف مظاهر النمو الانفعالى إلى: انفعالات الخوف مثل (المخاوف الصحية، والمخاوف المدرسية)، انفعالات الحب التى تعتبر من أهم مظاهر الحياة الانفعالية للمراهق، وعلى الوالدين مساعدة المراهق على إشباع حاجته إلى الحب، وعلى أن تتم عملية الفطام النفسى بدون أية صعوبات، وأن يكون المناخ الانفعالى مناسباً.

أما إذا كان المناخ الانفعالى للمراهق ملىء بالصعوبات ولم تساعد الأسرة المراهق فى تحقيق الاستقلال الانفعالى فإن الاضطرابات الانفعالية تكون كثيرة، ويقول «سبير جون إنجلشن: ١٩٥٩م» إن الطفل الذى حقق قدراً كبيراً من التوافق خلال فترة الطفولة سيلاقى قليلاً من المصاعب التى تقابله أثناء المراهقة، أما الطفل الذى لاقى عجزاً فى التوافق خلال فترة الطفولة فإنه سيعانى من الأمراض خلال مراهقته مما قد يسبب له كثيراً من المشكلات.

### ٣ - النمو العقلى

يتضمن النمو العقلى نمو القدرة العقلية التى تشمل الاستعداد والقدرات الخاصة فتصبح القدرات العقلية أكثر دقة، وتكون التغيرات العقلية فى المراهقة كمية أكثر منها ونوعية وتؤثر إمكانيات البيئة على النمو العقلى للمراهق، كما

تؤثر الوراثة فى وجود الفروق الفردية فى القدرات العقلية لدى المراهقين، وتؤثر أيضاً الوراثة فى تنمية هذه القدرات العقلية، كما أن وسائل الإعلام قد تضيف للمراهقين بعض الأفكار.

#### ٤ - النمو الجنسى

النمو الجنسى له أهميته فى مرحلة المراهقة فيشعر المراهق بالدافع الجنسى فى أوائل هذه المرحلة، ويهتم المراهق بالجنس الآخر، فيتعلق الفتى بإحدى الجارات أو الصديقات وتفاعل الفتاة مثل ذلك مع أفراد الجنس الآخر، ويلاحظ أن هذه الاهتمامات الجنسية المبكرة فى مرحلة المراهقة المبكرة تكون قليلة حيث يكون لدى الذكور اهتمام ضئيل بالإناث، وأنه عند العمل فى مجموعات فإن المراهقين يفضلون التجمع من نفس الجنس عن التجمع من الجنس الآخر.

#### ٥ - النمو الاجتماعى

تعتبر المراهقة بحق فترة التنشئة الاجتماعية التى تؤثر فى سلوك المراهق، ويؤدى الانتقال من المدرسة الابتدائية إلى المدرسة الإعدادية ثم المدرسة الثانوية، إلى زيادة الثقة بالنفس، وزيادة النشاط الاجتماعى، ومن أهم المطالب الاجتماعى للمراهق هو العيش مع جماعة الأقران ومحاولة لفت انتباه الجنس الآخر، ويلاحظ أن المراهق فى هذه المرحلة يصر على انتزاع اعتراف عالم الكبار به، ويحاول نفي الصورة الطفلية وفكرة الاعتماد على الأم، ورفض هذا الاعتماد.

## (٦) مطالب وحاجات المراهقين

أشار العديد من العلماء إلى حاجات ومتطلبات النمو في مرحلة المراهقة وعلى الرغم من وجود اختلاف في تصنيف تلك الحاجات إلا أن هذا الاختلاف يقتصر فقط على الشكل وليس المضمون.

\*\* وفيما يلي عرض لبعض تلك التصنيفات:

توصلت «هيرلوك Hurlock» من خلال أبحاث عديدة إلى أن الحاجات الأساسية للمراهق يمكن تصنيفها إلى ثلاث فئات هي:

### (أ) الحاجات العضوية Organic Needs

كالحاجة إلى الطعام والماء والراحة والجنس وهي أمور ضرورية لاستمرار حياة الإنسان وبقائه.

### (ب) الحاجات النفسية Psychological Needs

(١) الحاجة للشعور بالأمن النفسى.

(٢) الحاجة لأن يكون مستقلاً غير تابع.

(٣) الحاجة إلى التحصيل أى أن يحقق الفرد شيئاً معيناً.

### (ج) الحاجات الاجتماعية Social Needs

(١) كالحاجة إلى الانتماء.

(٢) الحاجة إلى العطف والحب.

(٣) الحاجة إلى الرفاق.

(٤) الحاجة إلى المكانة الاجتماعية.

كما استطاعت «كول Cole» أن تجمع عدة أبحاث أجريت لدراسة مشكلات المراهقين ووفقت بينها، واستخلصت منها الحاجات الإنسانية الضرورية التى تبرز فى فترة المراهقة، وتتضمن قائمة «كول» الحاجات التالية التى يتطلع إليها المراهق وهى:

(أ) الحاجة للمحافظة على الذات وتشمل:

(١) الحاجة للمحافظة على حياته وتجنب الأخطار.

(٢) الحاجة للراحة والاستجمام.

(٣) الحاجة للشفاء من الآلام والأمراض.

(ب) الحاجة للإشباع الجنسي وتشمل:

(١) الحاجة لتكوين ميل نحو الجنس الآخر.

(٢) الحاجة لتقبل النضج الجنسي دون خوف أو زهو به.

(٣) الحاجة للتنفيس عن رغباته الجنسية.

(ج) الحاجة للعطف والقبول من الآخرين وتشمل:

(١) الحاجة لأن يكون محبوباً من الآخرين ويمتدح من قبلهم.

(٢) الحاجة إلى تكوين أصدقاء يثق بهم ويتحدث إليهم.

(٣) الحاجة للشعور بالأمن في وسطه الاجتماعي.

(٤) الحاجة للانضمام إلى مجموعات والعمل معها بصورة إيجابية.

(د) الحاجة للمكانة والمركز وتشمل:

(١) الحاجة لأن يمتلك أشياء كثيرة.

(٢) الحاجة لأن يكون له سمعة طيبة.

(٣) الحاجة لأن يحتل مكانة في العالم.

(هـ) الحاجة للحياة الفكرية والقدرة على الإبداع والابتكار وتشمل:

(١) حاجته للمعرفة.

(٢) حاجته للبحث عن الحقائق.

(٣) حاجته للتعبير عن نفسه وإظهارها.

(و) الحاجة لتأكيد الذات وتنميتها وتشمل:

- (١) حاجته لأن يتغلب على عيوبه.
  - (٢) حاجته للاعتماد على نفسه وتنمية ثقته بنفسه.
  - (٣) حاجته لإثبات نفسه وتحقيق نزعته للاستقلال.
  - (٤) الحاجة للعمل من أجل تحقيق هدفه.
- وفى هذا الإطار نتفق مع «هيرلوك وكول Hurlock and Cole» على أهمية الحاجات التالية للمراهقين:

(١) الحاجة إلى الأمن والطمأنينة:

وتمثل هذه الحاجة رغبة الفرد فى التخلص من كل المخاطر والتهديدات التى قد يواجهها فى حياته.

(٢) الحاجة إلى المكانة وتحقيق الذات:

وتمثل هذه الحاجة رغبة الفرد فى الاستقلال عن الأهل والاعتماد على النفس.

(٣) الحاجة إلى الانتماء وتحمل المسؤولية:

وتمثل هذه الحاجة رغبة الفرد فى الانتماء إلى الجماعة والعمل معها ومن خلالها، فيندمج مع الكبار فيتعرف على حقوقه وواجباته ويتحمل المسؤولية المنوطة به.

(٤) الحاجة إلى استغلال أوقات الفراغ:

بصورة أنفع، وتذوقه لعالم الجمال فى الطبيعة والفن والأدب ويمثل هذه الحاجة رغبة الفرد فى إعلاء دوافعه ونوازعه وترقية أحاسيسه ومشاعره.

\*\* وعلى الجانب الآخر، استطاع بعض الباحثين النفسيين والاجتماعيين

وضع تصور لأهم حاجات المراهقين على النحو التالى:

## (١) الحاجة إلى المركز والقبول الاجتماعي:

وهي تتصل بالحاجة إلى الأمن والحاجة إلى الانتماء، والشعور بالأمن يتوقف على وجود علاقات اجتماعية تتضمن العطف والثقة والاحترام، وخاصة من أفراد الأسرة وجماعة الأصدقاء ويتطلب أيضاً التحرر من الإحباط والتهديد، والقبول الاجتماعي الذي يشبع حاجة الفرد إلى الانتماء وبالتالي يحقق له الأمن والاطمئنان، لذلك يجب على الراشدين مساعدة المراهق في تكوين شخصية متزنة ومعاملته معاملة الكبار وإشعاره بالمسئولية وإحاطته بجو يشيع فيه الوفاء والعطف والتألف.

## (٢) الرغبة في الاستقلال والتحرر من الأسرة:

تظهر الرغبة في الاستقلال واضحة في مرحلة المراهقة لأن المراهق يجد فيه تأكيداً لذاته وإثباتاً بأنه قد ترك عالم الطفولة ولم يعد يمت له بصلة ويزداد ذلك الشعور عنده نتيجة التغيرات الجسمية والنفسية، وتظهر رغبته في الاستقلال في سعيه الدائب نحو تكوين صداقات مع من هم في سنه خارج الأسرة ومشاركتهم نشاطاتهم، ويحاول إرغام الكبار على الاعتراف به كرجل، الأمر الذي قد يؤدي أحياناً إلى الخلاف مع والديه اللذين ينظران إليه كطفل، وواجب الوالدين الابتعاد عن العنف والقسوة والإهمال في معاملة المراهق ومساعدته على بناء ثقته بنفسه وإعطاؤه حق إبداء الرأي وتدريبه على تحمل المسئوليات وتدبير أموره بنفسه والتعلم من أخطائه.

## (٣) الرغبة في الاستقلال المادي:

يتطلع المراهق إلى الاستقلال في وقت مبكر فيبدأ في التفكير في مهنة المستقبل متأثراً في ذلك بمدى تقديره لذاته واتجاهات مجتمعه نحو المهن المختلفة ويساوره القلق في اختيار نوع التعليم الذي يحقق له آماله، لذلك يجب على الوالدين والراشدين المحيطين به توجيهه نحو الحياة المهنية التي ينشدها والتي تتفق مع ميوله واستعداداته العقلية، وذلك

من خلال فهمه لذاته وإمكانياته الواقعية حتى لا يتعرض للفشل الذى يؤثر على ثقته بنفسه وتقديره لذاته ويدفعه إلى السلوك التعويضى غير السوى.

#### (٤) الحاجة إلى المثل والمعايير:

يتجه المراهق إلى تخير مجموعة من القيم والمثل العليا التى يتخذها كمعايير سلوكية يحكم بها على نفسه وعلى غيره من الأفراد وتعتبر الأسرة أول وأهم مصدر لهذه القيم والمعايير فالطفل يتعلمها من خلال علاقاته الأسرية، وفى مرحلة المراهقة يبدأ فى مقارنة ما اكتسبه من الأسرة بتلك القيم والمعايير السائدة فى المجتمع الخارجى ويجب على الوالدين والمحيطين به مساعدته على تفهم المعايير السائدة فى المجتمع كقوانين سلوكية تنظم حياة الجماعة وتوجه سلوكه.

#### (٥) الحاجة إلى الفهم الكامل:

يساعد النمو العقلى للمراهق على الاستدلال والتجريد وحب الاستطلاع ومعرفة أسباب الأشياء وعلاقتها، لذلك يبدأ فى مناقشة ما أخذه فى طفولته كقضية مسلمة ويظهر ذلك واضحاً فى المسائل الدينية التى آمن بها فى طفولته، لذلك يجب على الوالدين إتاحة الفرصة أمامه لكى يناقش ويفكر ويزيل شكوكه بنفسه لكى يعرف أن الشك خطوة أساسية نحو المعرفة الصحيحة.

#### (٦) الحاجات البيولوجية والجنسية:

تعتبر الحاجة الجنسية من أكثر الدوافع فى مرحلة المراهقة ويظهر هذا الدافع فى سلوك المراهق وميوله واهتماماته ويرجع ظهور هذا الدافع إلى النمو الجنسى فى المراهقة حيث يبدأ بشعور غير واضح يتمثل فى اتجاه مشاعر المراهق نحو العواطف الرومانسية، والمثل والقيم الأخلاقية إذا قدمت له بطريقة تخلو من التزمت والعنف، وحتى لا يتورط المراهق فى أنواع السلوك غير السوى، يجب على الوالدين والمحيطين به مساعدته

على صرف الطاقة الانفعالية الناتجة عن الدافع الجنسي بطريقة يقرها المجتمع فى حالات النشاط المختلفة، كالنشاط الرياضى والإبداع الفنى والخدمات الاجتماعية.

ومن ثم، نجد - عزيزى القارئ - أنه أثناء النمو فى مرحلة المراهقة تزداد الحاجة إلى الإرشاد النفسى لمواجهة مطالب وتحديات هذه المرحلة، وإشباع حاجات المراهقين الأساسية ويؤدى إشباع حاجات المراهق إلى تحقيق الأمن النفسى له Psychological Security.

انطلاقاً من ذلك، يتضح أن إشباع الحاجات الأساسية للمراهقين هى الوسيلة الرئيسية لكى ينمو المراهق نمواً سليماً يشمل كافة أبعاد شخصيته، فعدم إشباع تلك الحاجات بطريقة مباشرة سوية يدفع المراهق للبحث عن البديل، وهنا نؤكد على أنه فى معظم الأحيان يلجأ المراهق إلى طرق غير مشروعة وأساليب غير سوية، حتى يتمكن من إشباع حاجاته، مما يؤدى به فى النهاية إلى: الجريمة، الإدمان، التطرف، الإرهاب، ... إلخ، ولذلك يجب على الآباء والراشدين المحيطين بالمراهق إدراك مدى أهمية وخطورة عدم إشباع حاجاته الأساسية.

## (٧) ميول المراهقين

نتيجة للتغيرات الجسمية والاجتماعية التي تحدث في مرحلة المراهقة، تنشأ ميول واهتمامات ورغبات جديدة، وقد أجريت العديد من الدراسات الخاصة بميول المراهقين من مهنية وقرائية وهوايات وما شابه ذلك، فبينت أن للمراهقين العديد من نفس الميول الخاصة بمرحلة ما قبل وما بعد المراهقة بالرغم من وجود أمثلة محددة لميول خاصة بتلك المرحلة، وهناك علاوة على ذلك اختلافات شاسعة من مراهق إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى.

كذلك تتغير الميول بعض الشيء من جيل لآخر، إذ إن ما يهم المراهق اليوم يختلف في العديد من الجوانب عما اهتم به المراهق من نفس العمر في بداية القرن الماضي على سبيل المثال، أو مراهق ما قبل النفط ومراهق ما بعد النفط في دول الخليج، حيث إن مراهق ما قبل النفط يندر أن نتوقع اهتمامه ببعض الأنشطة كقيادة الطائرات أو العمل في ورش أو محطات الإذاعة، وبالمثل فإن فتاة ما قبل النفط لا نتوقع ميلها للاشتراك في الجمعيات النسائية أو العمل في مهنة التدريس، كما أن ما يبدو غير مهم للمراهقين اليوم قد لا يكون كذلك غداً.

وبالرغم من أن الميول الخاصة تختلف من مراهق لآخر ومن مجتمع لآخر ومن وقت لآخر، فإن هناك ميولاً عامة يمكن أن يقال إنها مميزة للمراهقين، فالفتاة المراهقة على سبيل المثال تكون أكثر ميلاً لأفراد الجنس الآخر من زميلاتهن اللاتي لم يصلن لمرحلة المراهقة، وبذا تكون أكثر ميلاً للزينة والكشف عن شخصيتها وأقل اهتماماً بالمشاركة في الألعاب والأنشطة التي تتطلب القوة العضلية من زميلاتهن في الفصل واللاتي لم يبلغن بعد، وبالمثل فإن المراهق الذكر تنشأ لديه ميول جنسية تؤدي به إلى الاهتمام بمظهره الشخصي، ولكلا الجنسين تظهر زيادة ملحوظة في الميول المهنية.

وفى ضوء الدراسات والأبحاث السابقة لاحظت أن هناك العديد من الباحثين أمثال: (Sarhan: 1950)، (Larcebeau: 1955)، (Seidman: 1960)، وآخرين اهتموا بدراسة ميول المراهقين.

وفى هذا الإطار نؤكد على أن أهم ميول المراهقين تتمثل فى الآتى:

(١) الميل الدينى؛

ويعد من أهم الميول لدى المراهقين، ويتمثل فى البحث عن القيم الدينية اللازمة للحياة وقراءة الكتب والقصص وصولاً إلى تبني فلسفة ترشد السلوك وتوجه الحياة.

(٢) الميل للقراءة والمطالعة؛

ويتمثل فى قراءة الموضوعات التى تشبع حاجة المراهق للمعرفة والاستزادة لفهم ذاته والعالم من حوله، كذلك يستخدم المراهقون القراءة كوسيلة مهمة من وسائل التسلية فى تلك المرحلة، حيث يبدأ الفتى أو الفتاة فى قراءة القصص الروائية للكبار وكتب الرحلات والتراجم، ولقد لوحظ من الدراسات المختلفة أن قراءة الجرائد والقصص القصيرة تصبح أكثر شيوعاً بين البنين والبنات فيما بعد الخامسة عشرة من العمر.

(٣) الميل للزعامة؛

ويتمثل فى ميل المخاطرة والمغامرة لإثبات الذات، كما يتمثل فى تقصى حياة القادة والزعماء والعظماء ودراسة سيرهم وتقمص شخصياتهم.

(٤) الميل للاهتمام بالمظهر الخارجى؛

ويتمثل فى الحرص على سلامة المظهر ونظافة الجسم والملبس إشباعاً لحاجته إلى الجنس الآخر، وإبرازاً لدوره من خلال نغمات صوته وطريقة محادثته ومناقشة الآخرين.

(٥) الميل للمهنة:

ويتمثل في الحرص على اختيار مهنة تناسب قدراته وتشبع حاجته إلى الاستقلال والقيام بدوره في المجتمع.

(٦) الميل للترويج واللعب:

ويتمثل في الاهتمام بالرياضة والألعاب التي تتطلب طاقة جسمية كبيرة، ويصل هذا الميل إلى قمته في المراهقة المبكرة، كما يتمثل هذا الميل في مشاهدة الأفلام السينمائية والعروض المسرحية والمباريات الرياضية ... إلخ، هذا بالإضافة للحفلات التي يخططون لها ويقومون بها في المنازل أو المدارس، أو الرحلات للحدائق والمباريات كمشتركين، وأنشطة اللعب المختلفة في النوادي والساحات تبعاً لميولهم ومواهبهم، وكذلك تبادل الزيارات وغيرها.

(٧) الميل لجمع الصور:

وهذا الميل مميز لصغار الفتيات المراهقات، ولكنه لا يصل لنفس الدرجة بين كبار الفتيات، ويكون ذا أهمية قليلة للبنين وتعتبر مجلات السينما والفن مصدراً غنياً لهذه المواد.

## (٨) مشكلات المراهقين

إذا سارت جميع الجوانب المحيطة بالمراهق بصورة طبيعية وجيدة وكان المناخ الانفعالي مليئاً بالحب، وتمت عملية الفطام النفسى بدون صعوبات، واعتترف كل من الأسرة والمدرسة والمحيطين بالمراهق بما طرأ عليه من نضج، وبأنه فرد له ذاتية، وساعدت على إشباع حاجاته، ومتطلبات النمو لديه، فإن فترة المراهقة ستتم بسلام.

أما إذا لم تتم عملية الإشباع لحاجات المراهق ولم تتقبله الأسرة، ولم تعترف بما ظهر عليه من نضج، فإن مرحلة المراهقة ستصبح مليئة بالعديد من المشكلات وتنشأ هذه المشكلات نتيجة لعدم تكيف المراهق.

وقد لاحظت تنوع المشكلات التى يعانى منها المراهقون والمراهقات، فقد قسمها العديد من المتخصصين أمثال: (Lawrance: 1988)، (Kathleen: 1988)، (Milton: 1993)، وآخرون إلى مجالات مختلفة، ورغم تعدد تقسيمات هذه المشكلات إلا أنه قد تتشابه بعض التقسيمات الخاصة بتلك المشكلات، كما أن المشكلة الواحدة لا تقوم منفردة، ولكنها عادة تتصل بمجموعة أخرى من المشاكل.

وفى ضوء تلك التقسيمات المختلفة، نستخلص أهم مشكلات المراهقين على النحو التالى:

### (١) مشكلات الصحة والنمو:

وتتضمن نقص الرعاية الصحية، الشعور بالتعب بسرعة والكسل، وجود بعض مظاهر النمو غير المتناسقة، إما بالزيادة أو النقص مثل: كبر الحجم عن المعدل العادى، أو زيادة حجم الأنف بالنسبة لباقي أجزاء الوجه، الإصابة بالصداع، فقد الشهية.

## (٢) المشكلات الأسرية:

وتشمل الخلافات بين الوالدين أو الانفصال أو الطلاق، التنشئة الاجتماعية الخاطئة التي ينقصها تعلم الأدوار الاجتماعية السليمة، القدوة السيئة داخل الأسرة، وكذلك الاتجاهات الوالدية السالبة التي تشمل: التسلط، التدليل، الإهمال، التفرقة في المعاملة.

## (٣) المشكلات النفسية:

ومن أسبابها: صراعات داخلية أو صراعات خارجية، ومن أمثلتها القلق وخاصة في عصرنا الذي يطلق عليه عصر القلق، الغضب، عدم الثقة بالنفس، العناد، الإهمال، عدم القدرة على تحمل المسؤولية، عدم الثبات الانفعالي، الاستغراق في أحلام اليقظة، الخوف، الخجل، تقلب الحالة المزاجية.

## (٤) المشكلات الاجتماعية:

وتشمل: قلة الأصدقاء، عدم فهم الآخرين، السلوك الاجتماعى المنحرف كالكذب، السرقة، الهروب، عدم التوافق الاجتماعى، وقد تكون أسباب هذه المشكلات سوء العلاقات الموجهة فى الأسرة.

## (٥) المشكلات الجنسية:

وتشمل نقص المعلومات الجنسية الصحيحة، مشكلات النمو الجنسى، الرغبة فى أن يصبح أكثر لفتاً لأنظار أفراد الجنس الآخر.

## (٦) المشكلات الدينية:

وتشمل الحاجة إلى الإرشاد الدينى، الحيرة بخصوص المعتقدات الدينية، عدم إقامة الشعائر الدينية، الصراع بين المحافظة والتحرر.

## (٧) المشكلات الاقتصادية:

وتشمل العجز المادى الذى يعانى منه المراهق، والإحساس بأنه أقل من زملائه من الناحية الاقتصادية، فلا يستطيع إشباع رغباته فى شراء ما

يلزمه، وقد أوضح بعض العلماء أن المشكلات لدى المراهقين تزداد كلما قل المستوى الاقتصادي للأسرة.

#### (أ) المشكلات المدرسية:

ومن المشكلات المدرسية: صعوبة التركيز والانتباه، ضعف التحصيل الدراسى دون المستوى العادى فى مادة واحدة أو أكثر، البطء فى القراءة والتعلم، التوتر، القلق، الخجل، الغياب المتكرر، الهروب من المدرسة، سوء علاقة الطالب بزملائه وأساتذته، تكرار الرسوب، الغش فى الامتحانات، الاستغراق فى أحلام اليقظة، شرود الذهن، قلة الاهتمام بالدراسة، وقد يكون الهروب من المدرسة بسبب كره الطالب للمدرسة، أو لنقص التحصيل الدراسى.

## (٩) الجماعات المؤثرة في المراهقين

### (أ) الأسرة:

قد تعوق العلاقات الأسرية النمو الانفعالي للمراهق، وقد تساعده في تطوره وبلوغه النضج المنشود، فللأسرة أثر مهم في شخصية المراهق، وتختلف الأسرة من حيث تنظيمها وعدد أفرادها ومن حيث العلاقات الانفعالية بين هؤلاء الأفراد، وأهم ما يتدخل في التكوين النفسى للمراهق هو العلاقة العاطفية بينه وبين جميع أفراد الأسرة من الأخوة والوالدين.

والعلاقة بين المراهق وبين والديه، تتدرج من التدليل الزائد إلى القبول إلى الرفض، وتظهر آثار هذه الاتجاهات فى سلوك المراهق، ولكى يكون المراهق سليماً يتطلب ذلك أن تكون الأسرة سوية يسودها الاتزان الانفعالي والعلاقات السليمة التى تشبع حاجاته إلى: الأمن، الاستقلال، الانتماء.

ويشير «الباحثون النفسيون والاجتماعيون» إلى أن الأساليب التى تتبعها الأسرة مع أبنائها تنعكس على حياتهم، فالفرد المدلل فى أسرته يعجز عن الاعتماد على نفسه، ويتقهقر أمام كل أزمة تواجهه، ويسفر عن ذلك تكيف اجتماعى خاطئ، لأن الأسرة تحقق له جميع رغباته النفسية والتبذير فى الإنفاق عليه، كما أن النبذ للفرد من جانب أسرته يجعله يشور ويميل إلى المشاجرة والمعاداة، هذا أيضاً ينتج عنه تكيف اجتماعى خاطئ وذلك لأن نبذه وتفضيل أخوته عليه يشعره بالحرمان.

وعن الخلافات التى تحدث داخل الأسرة، أرى أنها تنشأ نتيجة لإصرار كل من الآباء والأمهات على معاملة أبنائهم على أنهم ما زالوا أطفالاً، وألا يسلكوا فى حياتهم مسلك الكبار، كذلك رغبة المراهق فى ألا تُفرض عليه أية قيود حتى ولو كانت من الوالدين.

وعلى الجانب الآخر، فالمستوى الثقافى الاجتماعى للأسرة له أثر كبير على سلوك المراهقين وعلى نموهم الاجتماعى، ويختلف سلوك الفرد تبعاً

لاختلاف مستوى أسرته، ذلك لأن كل طائفة من الطوائف الاجتماعية لها أسلوب معين فى الحياة، ونمط خاص فى السلوك، وللبيئة المحيطة بالأسرة أثر قوى على مستوياتها المختلفة، وعلى تحديد بعض نشاط أفرادها، وعلى ذلك فسلوك أفراد الأسرة الغنية نمط يختلف عن سلوك أفراد الأسرة الفقيرة، وترتبط هذه المستويات بالمعايير الاجتماعية ويمدى تفاعل الفرد معها وإيمانه بها، وخضوعه لها أو عزوفه عنها.

### (ب) المدرسة:

المدرسة لها وظيفة مهمة فى تدريب العمليات العقلية المختلفة وإعداد المراهق للعمل والمواطنة السليمة، إن المدرسة الناجحة بالنسبة للمراهق هى التى تضع الفروق الفردية موضع اهتمام، كما تؤكد على النمو الاجتماعى والعاطفى بنفس الدرجة التى تؤكد فيها على النمو العقلى، وأهم ما يحدث عند انتقال المراهقين إلى المدارس هو تقليل التفاعل مع الآباء، وهناك مشكلة تواجه الدول اليوم وهى عدم الاستمرارية وتسرب المراهقين من التعليم بما له من مشكلات تعليمية تؤثر على مستواهم الاقتصادى والاجتماعى فى مستقبل حياتهم، ويرتبط التسرب من التعليم بظروف ديموجرافية وعلاقات أسرية وبالرفاق والعوامل الاقتصادية والشخصية.

ولا تختلف المدرسة عن المنزل كثيراً فى عينى المراهق من حيث إنها مصدر سلطة، ومن ثم فهى توفر له فرص نقدها ومعارضتها، فالمدرس يحل محل الأب والواجبات المدرسية لا تختلف كثيراً عن مطالب المنزل ويتمرد المراهق فى المدرسة كما يتمرد فى المنزل، يضيق بالأوامر والقوانين المدرسية ويدخل فى معركة جديدة مع المدرسين الذين يراهم رمز السلطة ومصدر الأوامر.

ومن أهم أسباب تمرد المراهق، هو محاولته المستميتة للدفاع عن ذاته فيرى المدرس سلطة تهدد الذات وهو فى مرحلة اكتشافها وتدعيمها والمحافظة عليها، ومع كل ذلك فإن المراهق لا يضيق بالمدرسة كما يضيق بالمنزل، فهو يحب المدرسة مع ما فيها من نظم وقيود ترهقه فى غالب الأحيان، ولكن فى

المدرسة يكتسب صداقات متنوعة متجددة، وخلال بعض الدروس يكتشف ذاته ويحققها وخاصة خلال دراسة علم النفس والفلسفة وعلوم الحياة، ومع المدرسين يحول مشاعره لاكتشاف الأب الروحي الذى يتفانى فى الإخلاص له.

وتعقيباً على ما سبق، أرى أن المدرسة من أهم المؤسسات الاجتماعية التى تلعب دوراً خطيراً فى حياة المراهقين، وفى تشكيل مستقبلهم، وتستطيع المدرسة أن تساعد المراهق على تحقيق مطالب النمو، وأن تجنبه الكثير من الصراعات التى تحفل بها هذه المرحلة، كما تسهم المدرسة فى حل مشكلات المراهق، ويتأثر المراهق بعلاقته بمدرسيه، ويمدى نفوره منهم أو حبه لهم، وتصطبغ هذه العلاقات بألوان مختلفة، ترجع فى جوهرها إلى شخصية المدرس، ومدى إيمانه بعمله ومدى فهمه للمراهقين.

### (ج) جماعة الأقران:

تحتل جماعة الأقران، مكانة كبيرة لدى المراهقين فهى تؤثر فى تكييف المراهق وإعداده لحياة الاستقلال، وفى سلوكه، فالمرهق فى هذه المرحلة يحاول الاستقلال عن المنزل والأسرة، ويشجعه على ذلك جماعة الأقران، فهى خير متنفس له، فعن طريقها يجد الراحة النفسية التى تخفف عنه عوامل الكبت ويتولد لديه شعور بالولاء والاحترام لهذه الجماعة والرغبة فى الاستحواذ على إرضائها، والاندماج تحت لوائها، وتقبل كل ما يصدر عنها عن طيب خاطر.

والصداقة فى المراهقة، ليست فقط مظهراً من مظاهر النمو الاجتماعى، بل هى أيضاً مظهراً من مظاهر زيادة الشعور بالذات، وهى تدل على رغبة المراهق فى تدعيم موقفه إزاء الراشدين، ولجماعة الأقران أثر كبير على سلوك المراهق الاجتماعى قد يفوق أثر المنزل أو المدرسة.

وفى ضوء ما سبق، نؤكد على أن جماعة الأقران تؤثر تأثيراً مهماً خلال فترة المراهقة، وهم أفراد يتشابهون فى السن ومستوى النضج، وهم مصدر للمعلومات عن العالم خارج الأسرة، وعلاقات الأقران الجيدة ضرورية للنمو الاجتماعى السوى خلال المراهقة، ويحدث التطابق عندما يتبنى الأفراد اتجاهات

وسلوك الآخرين، والمراهق المهمل يحصل على انتباه ضعيف من الأقران، بينما المراهق المرفوض لا يكون محبوباً من الأقران، ويتعرض هذا النوع للمشاكل، فالمراهقون المرفوضون يشكلون تجمعات غير سوية، كما أن المراهقين الذين يرتبطون في صداقة مع من هم أكبر سنّاً يقعون في مشاكل سلوكية.

ومن ثم، ينبغي على الوالدين معرفة أصدقاء المراهق وصدقاته حتى لا يقع في براثن شخصيات مريضة منحرفة فاسدة الخلق تجذبه بنشاطها البراق وتحقق له فرصة القيام بمسئوليات بطولية وتصرفات ضد المجتمع ونظامه، وهو لا يدري أن هذه الجماعة أو تلك إنما تضر بمستقبله وتهدد أمنه الشخصي، والمراهق يندفع إلى مثل هذه الجماعات إذا فشل في تحقيق الأمن داخل أسرته وداخل مدرسته.

في ضوء العرض المختصر السابق، لأهم الجماعات المؤثرة في حياة المراهقين يتضح أن الأسرة تترك آثاراً عميقة على حياة المراهق، وتصبغها إما يصبغتها الهادئة السوية، وإما المضطربة الشاذة فتميل بها إلى الفساد والمعصية.

كما أن جماعة الأقران، تلعب دوراً كبيراً في حياة المراهقين فتساعدهم على إشباع حاجاتهم إلى الانتماء، وقد تسلك جماعة الأقران بالمراهق مسلكاً عدوانياً فتنحرف بنشاطها، وقد تحاط بالغموض والسرية، وقد تميل إلى النشاط العنيف والسلوك المنحرف، وكذلك الفكر المتطرف والسلوك الإرهابي.

كذلك تكفل المدرسة للمراهق ألواناً مختلفة من النشاط الذي قد يساعده على سرعة النمو، واكتمال النضج، وقد تكون غير ملائمة لنمو المراهق نمواً سليماً لما قد يكون فيها من علاقات مضطربة من قبل المدرسين والتلاميذ.

## (١٠) المراهقون والعلاقات العائلية

يوضح العلماء أهمية العلاقات العائلية فى هذه المرحلة - المراهقة - ومدى تأثر المراهق بهذه العلاقات وبالجو الاجتماعى السائد فى عائلته، فأى مشاجرة تنشأ بين الوالدين تؤثر فى انفعالاته ويتكرر هذه المشاجرات يضار نموه السوى الصحيح ويُعَوِّقُ اتزانه الانفعالى وقد يثور المراهق على بيئته المنزلية أو يكبت هذه الثورة فى أعماق نفسه ليعانى بذلك ألواناً مختلفة من الصراع النفسى الذى يقف به على حافة الهاوية، فيما الخضوع وإما العصيان وإما الانقسام على نفسه، وكذلك قد يغضب المراهق عندما يشعر بما يعوق نشاطه ويحول بينه وبين غاياته، وعندما يشعر بالظلم والحرمان وعندما يتأثر مزاجه بالأمور الطبيعية الخارجية.

وفى هذا الإطار نشير إلى مثيرات الصراع بين الآباء والأبناء والذى بدورها تؤدي لاضطراب العلاقات العائلية وتتمثل فى الفروق الفسيولوجية، حيث إن التغيرات الجسمية السريعة عند الشباب تسهم فيما ينشأ من صراع بين الآباء والأبناء وكذلك الفروق السوسولوجية حيث نلاحظ هذا جلياً فى تصارع المعايير، إذ أعطى التغير السريع للشباب والكبار محتوى اجتماعياً مختلفاً فأدى إلى معايير متصارعة، ذلك أن التعقيد الاجتماعى أربك المعايير داخل الأجيال وأصبح الآباء نتاج ذلك مرتبكين فى تربيتهم للأبناء، وحين يفقد الكبار قدرتهم على توفير الفهم السليم والدفء العاطفى والتوجيه الناضج للأبناء، حين ذاك يفقد الآخرون قدرتهم على تحقيق التوافق والتكيف وإعادة التنظيم اللازم.

ويضاف لذلك وسائل الإعلام الحديثة حيث تفتح تطلعات الشباب وطموحهم إلى مدى لم يعرفه أبائهم، بل إن سلطة الآباء فى المجتمعات النامية تشكل عائقاً يحسه شباب هذه البلاد إذ يفتقدون حرية ينعم بها شباب البلاد الغربية ويشاهدونها فى وسائل الإعلام، بدوره يؤدي إلى نوع من القلق

والتشاؤم أو التحدى الناتج عن الحيرة بين التمسك بالتقاليد الوطنية أو النقل عن الدول الغربية المتقدمة صناعياً.

ويضاف لما سبق، الفروق بين الآباء والأبناء والبطء فى عملية التطبيع الاجتماعى، ذلك أن الأجيال الجديدة بطبيعة الحال تخضع ولو مؤقتاً لسيطرة الأجيال القديمة حيث تأخذ عنها وتتأثر بها، والحياة بطبيعتها فى تغير وتبدل مستمرين، والمجتمعات نفسها بأجيالها الجديدة المتلاحقة فى تغير وتبدل أيضاً ولذا يحدث صدام بين الأجيال السابقة واللاحقة.

فالمفاهيم والقيم والعادات والتقاليد تتبدل وتتغير، وأبناء الأجيال الجديدة يجدون أنفسهم مشدودين من جهة إلى قيم مجتمعهم وتقاليده كما يجدون أنفسهم مسوقين إلى الثورة على بعض هذه القيم والتقاليد، وهكذا يحدث صراع بين الأجيال وهو صراع مستمر ومتواصل لأن الجديد لا يلبث أن يصير قديماً ولذا لا بد من الثورة عليه، فضلاً عن أن بعض الأجيال قد تجمد أكثر من بعض وبعضها الآخر يكون أقدر على فهم أجياله ومسايرتها ولذا فهو يمتص ثورتها.

واستكمالاً للعوامل التى تؤدى لاضطراب العلاقات العائلية بين المراهقين وآبائهم نشير للفروق النفسية والاجتماعية التى تتمثل فى واقعية الكبار ومثالية الشباب، فالشباب بحكم تكوينهم النفسى والاجتماعى يتجهون إلى رفض المعايير والتوجيهات التى يمارسها الكبار ذلك أن الشباب مولع بالبحث عن كل ما هو مثالى.

ومن ثم وفى ضوء الإطار السابق أرى أن العلاقات العائلية الصحيحة السوية هى التى تساعد المراهق على اكتمال نموه ونضجه الانفعالى والاجتماعى... إلخ، وتسير به قدوماً نحو مستويات الاتزان الانفعالى والوجدانى وتهيئ له جواً نفسياً صالحاً لنموه.

## (١١) المراهقون والسلطة الوالدية

العلاقة مع السلطة تنشأ أول ما تنشأ فى علاقة الفرد بالوالدين داخل الأسرة، وهذه العلاقة بما تمثله من أنماط اجتماعية وثقافية وتاريخية للمجتمع الذى يعيش فيه الفرد، يبدأ فى تكوين ملامح هذه العلاقة التى تشكل مستقبلاً تعامل الفرد مع رموز السلطة فى المجتمع وشكل هذا التعامل من: خضوع - عصيان - طاعة - تمرد، كل هذا يحدث فى علاقة الفرد مع والديه بما يمثله من السلطة الوالدية التى تعتبر النموذج لكل أنواع السلطة بعد ذلك.

ومن وجهة نظر التحليل النفسى فالعلاقات مع الوالدين سابقة على العلاقات مع أى ممثل آخر للسلطة وعلى ذلك فإن اتجاه العلاقة مع: الحاكم - الرئيس - المدرس ... إلخ، تميل لأن تصاغ على غرار العلاقة مع الوالدين.

وعلى سبيل المثال وكأحد أشكال رفض السلطة الوالدية، قد يفشل الأب فى أن يحترف مهنة كان يحبها ويتمناها لنفسه فيدفع ابنه للوصول به إلى العمل الذى كان يحبه لنفسه وقد لا يتفق مثل هذا العمل مع ميول الفتى واستعداداته، فتنشأ كثير من المشكلات والعوائق النفسية فى فترة أحوج ما يكون فيها المراهق للتوجه السليم وهنا قد يعلن المراهق أن اختيار المهنة مسألة شخصية تخضع لميوله ورغباته.

ولا شك أن اختيار المهنة على أساس ميول ومستوى طموح المراهق له علاقة كبيرة بقدرته على ملائمة نفسه اجتماعياً وتقدمه فى الحياة، فالمراهقة فى وقفها ضد مجتمع الكبار ترفع الاستقلالية فى وجه الاستقلالية التى كانت حكرًا على الكبار، وترفع الثقة المطلقة بالذات فى وجه الثقة التى كانت حكرًا على الكبار وتتناقض فى مضمونها الفكرى وفى اتجاهاتها التصورية مع الحياة الفكرية التصورية لمجتمع الكبار.

ويؤكد « روبرت جريندر Robert Grunder » على أن علاقة الصغير أو الكبير بالسلطة هي علاقة بالذات العليا أو الضمير « Super ego » التي نشأت أصلاً من سلطة الوالدين أو من يقوم مقامهما فى المنزل أو المدرسة أو العمل، والمضطرب مع السلطة يفصح عن وجود عدوان مكبوت ضد الوالد وسلطته والتي نشأت عن فعل الصراع والنمو غير السليم فى الموقف الأوديبى، ولما كان توجيه هذا العدوان نحو الأب وهو المصدر الأسمى لهذه السلطة أمراً محرماً وغير مقبول من القيم والمعايير الأخلاقية والاجتماعية، ولما كان من الضرورى لهذه الطاقة النفسية من التصريف لذلك ينتقل هذا العدوان وتزاح تلك الكراهية عن شخص الوالد وتوجه فى صورة ثورة وتمرد وعدوان على ما يمثل سلطة الأب وقيوده أو ما يرمز إليه، كالمدرسين ورجال البوليس ورؤساء الأعمال وكافة المعتقدات التى كان الوالد يعتنقها أو يدافع عنها أو يفرضها على ابنه.

وهنا نشير إلى أشكال السلطة الوالدية والتي تتمثل فى الآتى:

#### (١) الشكل الاستبدادى:

مناخ أسرى يغلب عليه النزعة الاستبدادية من جانب الآباء فى كل ما يتعلق بالأبناء من أمور وقضايا دون أن يكون للأبناء حق إبداء الرأى فيما يراه الآباء أو الاعتراض عليه.

#### (٢) الشكل الديمقراطى:

مناخ أسرى يحرص فيه الآباء على توضيح مغزى تصرفاتهم أمام الأبناء ويرحبون بالحوار والتعايش معهم فى كل ما يعيشون فيه أو يتعرضون له من مواقف وخبرات.

#### (٣) الشكل الفوضوى (التساهلى):

مناخ أسرى يتخذ فيه الآباء مواقف اللامبالاة من الأبناء دون أن يكون للأباء دور واضح فى تيسير دفة أمور الحياة فى الأسرة، بل يتخذ كل

عضو فى الأسرة قراراته بنفسه ووفق ما يتراءى له دون أن يأخذ فى اعتباره ما يمكن أن يترتب على هذه القرارات من عواقب.

والاتجاهات الثلاثة السابقة، تعنى منظوراً خاصاً ينظر من خلاله الوالدان فى معاملتهما للابن وهذا المنظور نتاج بيئة عاشا فيها وثقافة ربا عليها بكل ما تحويه هذه الثقافة من قيم وعادات وتقاليد، ومن ثم فإن منظورهم هذا يختلف عن منظور الأبناء بكل المقاييس.

والمراهقون يودون أن يتخلصوا من سيطرة آبائهم، ومن ناحية أخرى يعبرون عن حاجتهم إلى توجيه وإرشاد من جانب آبائهم وفى الواقع إنهم يريدون الأمرين معاً: الحرية وتوجيه الآخرين لهم، إنهم يودون لو عوملوا كما يعامل الكبار، وليس كما يعامل الأطفال وفى الوقت نفسه يؤيدون الاحتفاظ بعلاقة وثيقة مع أسرهم وهذا أمر طبيعى فى هذه الفترة التى ينتقلون فيها من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة أو الأنوثة، وهذا التناقض والصراع بين الاعتمادية الطفلية وبين الرغبة فى الاستقلال وإثبات الذات والتعارض بين الذى يريده المراهق والذى يريده الكبار يدفع المراهق إلى اللجوء إلى العنف من أجل الاستقلال.

وتتم العلاقات الاجتماعية للشباب بنوع من الهامشية فهم قد تخطوا مرحلة الطفولة ويحرصون على نفي انتمائهم إليها ولكنهم لم يقبلوا بعد كأعضاء كاملى العضوية فى جماعة الكبار، وتتسم مشاعرهم واتجاهاتهم نحو الآخرين بشىء من التوزع؛ فهم موزعون بين الطاعة لعالم الكبار والتمرد عليه وانتفاضة البزوغ للكيان الجديد تكون فى نفس الوقت انتفاضة فى وجه جيل الآباء، وفى هذه المرحلة يبدأ الشباب فى الإحساس بسلطة الأسرة والمجتمع فالشباب فى هذه المرحلة يقفون من جيل الآباء موقف القوى المضادة فيعتنقون نقيض فلسفاتهم وأفكارهم.

وحول مشاركة المراهق مع العالم الذى يعيش فيه، نجد أن جماعات الأقران تقوم بدور له أهميته فى حياة أعضائها المراهقين، فهى تتيح لهم

إمكانية العثور على دور يقومون به وتساعدهم فى هذه الفترة المضطربة على التحرر والاستقلال إلى حد ما عن الأسرة، كما أنها تعلمهم أو تكسبهم المهارات والصفات الاجتماعية المطلوبة للمشاركة فى حياة الجماعة، وعلى هذا النحو يقوم الأقران أو رفقاء السن بدور مهم فى حياة معظم المراهقين ويتميز دورهم فى هذه المرحلة بأهمية أكبر مما كان عليه فى مرحلة الطفولة.

وعملية التحرر - فى مرحلة المراهقة - من أجل الوصول إلى الحرية تأخذ فى بدايتها شكلاً سلبياً يتمثل فى الرفض واستعمال العنف فى ذلك وتتدرج شيئاً فشيئاً إلى أن تأخذ الشكل الإيجابى وفقاً لدرجة نمو المراهق وتعامله مع ذاته ومع الآخرين فى إطار اجتماعى وثقافى معين، ووفقاً لاكتسابه القدرة على الرفض والتقبل فى نفس الوقت والقدرة على الاختيار وعلى أن يعلو على ذاته وأن يعمل على تحقيق القيم والتوافق بين ذاته وبين الله.

وتعقيباً على ما سبق ذكره، نشير إلى أن استجابة الفرد للسلطة كأى سلوك اجتماعى آخر له أسسه العميقة فى سنوات التنشئة فأول سلطة يلتقى بها الطفل فى حياته هى السلطة الوالدية يخضع لها ويعتمد عليها فى تلبية احتياجاته الأولية.

وبعد ذلك يتكون لديه مجموعة من وسائل الاستجابة لهذه السلطة التى تختلف أشكال التعامل معها باختلاف المواقف والظروف فتكون أساليب الخضوع والمقاومة والطاعة والعصيان، تنشأ جميعها من ردود الأفعال التى تتكون حول السلطة الوالدية كما تنشأ هذه الأساليب أيضاً من خلال أنماط مختلفة من التعامل مع السلطة الوالدية.

فالطاعة مثلاً تنشأ من خلال نظام صارم وحازم كما أنها تنشأ أيضاً من خلال العطف والحب وفى بعض الأحيان تنشأ نتيجة الغضب والعقاب للطفل من الوالدين، ولكن يؤثر ذلك فى نوع الطاعة وفى محتواها أيضاً فطاعة العقاب تختلف عن طاعة الحب، فالأولى تصل إلى حدود الخضوع نتيجة الخوف من

العقاب أو حتى التهديد باستخدامه، أما طاعة الحب فيكون أساسها هو العلاقة بين مصدر السلطة والفرد.

أيضاً تختلف أساليب المقاومة فالطفل الذى نشأ بين والدين مسيطرين متحكمين تختلف ثورته ومقاومته لمصدر السلطة عن الطفل الذى تربي على الاستقرار وتعود الوقوف أمام السلطة، فالثورة والمقاومة فى الحالة الأولى تختلف فى الشكل وأسلوب التعبير عنها فى الحالة الثانية، وهكذا تختلف وسائل مواجهة السلطة بين الأطفال نتيجة لاختلاف مصادر السلطة أيضاً.

فالأسلوب الذى يتعلم به الطاعة يؤثر فى طريقة مقاومته، وخبراته فى المقاومة تؤثر فى شكل طاعته، فالطفل ينتقل اتجاهه نحو مصدر السلطة الأبوى إلى الكبار الآخرين، ففى المدرسة ينظر إلى سلطة المدرس باعتبارها امتداداً لسلطة الأب وهكذا رموز السلطة فى المجتمع.

وبجانب الشكل الاستبدادى للسلطة الوالدية والذى يراد به فرض الوالدة أو الوالد رأيه على ابنه ويتضمن ذلك الوقوف أمام رغباته التلقائية أو منعه من القيام بسلوك معين، وهما يستخدمان أساليب متنوعة فى ذلك تختلف خشونة ونعومة كألوان التهديد المختلفة من خصام أو ضرب أو حرمان.

يوجد شكل آخر للسلطة وهو الحماية الزائدة، ويقصد بها القيام نيابة عن الابن بالواجبات أو المسئوليات التى يمكن أن يقوم بها والتى يجب تدريبه عليها حتى تتكون عنده شخصية استقلالية، وحماية الآباء الزائدة ما هى إلا تعبير عن القلق والخاوف التى تبدو أنها تتمركز فى معاملة الابن، والحماية الزائدة قد تكون زيادة للتدليل ولهذا آثاره على شخصية الابن ومن هذه الآثار الأنانية وعدم القدرة على تحمل الإحباط، ورفض السلطة وعدم الشعور بالمسئولية والإفراط فى الحاجة إلى انتباه الآخرين، وقد تكون الحماية الزائدة تسلطاً وهى أيضاً تترك بصماتها الواضحة على شخصية الابن ومن هذه البصمات الاستسلام، عدم الشعور بالكفاءة، نقص فى المبادأة، الميل إلى الاعتماد الكلى السالب على الآخرين.

فالأساليب المختلفة للتنشئة الاجتماعية تؤثر فيما بعد على التعامل مع السلطة فنجد من الشباب من ينصاع لأوامر السلطة انصياعاً تاماً ومن يتمرد عليها تمرداً تاماً ومن يقف بين التمرد والخضوع.

\* وفى ضوء ما سبق ذكره، نشير إلى الخصائص التى تميز السلوك الشبابى تجاه السلطة والتى تتمثل فى الآتى:

أولاً: اتجه الشباب إلى رفض الأوضاع ليس فقط نتيجة نقص الخبرة مما يمنع من التقييم السليم ولكن أيضاً لأن طبيعة الشباب أساسها الحركة والانطلاق دون أى قيود تفرضها هذه الأوضاع ومن هنا لا يقبل الشباب الخضوع للسلطة الحاكمة وقراراتها دون مناقشة.

ويجب أن نذكر أن القلق والاضطراب اللذان يصيبان الشباب نتيجة مشكلة الهوية عادة ما يدفعهم إلى التمرد والرفض للنظام القائم وهو ما يعكس فى أحد أبعاده الصراع الحاد بين الأجيال ومع رغبة الشباب فى تمييز أنفسهم عن الجيل القديم، فإنهم ينحرفون عن المبادئ والقواعد السائدة فى عالم الكبار ويحاولون تطوير المفاهيم والقواعد الخاصة بهم وقد توصف ثقافة الشباب ويتحدد جوهرها فى رفض الوضع القائم والثورة عليه.

ثانياً: يرتبط برفض الأوضاع القائمة، ما يتصف به الشباب من خيالية ومثالية نتيجة لانعدام المسئولية، ومن هنا ينبع رفض المهادنة فى المسائل المتعلقة بالمبادئ، ومن هذه المثاليات التى يؤمن بها الشباب المساواة والعدل والحرية وغيرها، ومن هنا يميل الشباب إلى الهجوم الساخر على كافة الأوضاع القائمة، ومن هنا أيضاً نفهم مساندة الشباب للحركات السياسية العنيفة التى تصبغ بصيغة المثالية، فالشباب قد يتلقون الموت على أن يقف الواحد منهم عاجزاً عن الرد على ما تتعرض له أحلامه ومثالياته من انتهاك.

ثالثاً: الصفة الثالثة المميزة لسلوك الشباب هي الميل إلى المطابقة بين السلوك والقيم، فالشباب لا يعرف سوى أن هناك عدواً أو صديقاً أبيض أو أسود، وهو لذلك يجعل من القيم حقيقة مطلقة ويرتبط بذلك صفة الإسقاط بمعنى الاستعداد الدائم لاتهام الآخرين واتهام الجيل السابق بالجبن واتهام النظام القائم بالفساد وعدم الصلاحية وخيانة الأهداف القومية، بل هو على استعداد لاتهام الآخرين بنفس عيوبه بحيث يسقط عيوبه على الآخرين.

## (١٢) المراهقون والصراع القيمي

كثيراً ما يخرج الشباب إلى المجتمع حاملين بعض القيم التي قد تكون قيماً مثالية وعادة ما يكونون قد اكتسبوا هذه القيم من الكتب التي قرءوها أو من بعض المعلمين الصالحين الذين قابلوهم في حياتهم أو من العظات التي استمعوا إليها من الآباء ورجال الدين أو من خلال اطلاعهم على الكتب الدينية وغيرها، ولكن بعض هؤلاء الشباب قد يصدمون عندما يجدون تعارضاً بين القيم المثالية التي تبناها وبين ما هو سائد في المجتمع وما يتبناه الأفراد الكبار في هذا المجتمع وهذا يوقع الشباب في قدر كبير من الارتباك والحيرة والقلق والصراع النفسي.

ويزداد الاضطراب النفسي للشباب والمراهقين عندما يرون أن القيم المتعارف عليها لا يتبناها بعض من هم في مراكز السلطة وكذلك الآباء والمدرسون والقادة والإداريون، من هذا المنطلق يفقد الشباب القدوة والمثل في هذه الحياة المضطربة التي يعيشها.

ويعد ذلك نتيجة طبيعية حيث يعيش المجتمع المصري مرحلة ثورة اجتماعية وثقافية يصاحبها تعارض في المعايير والأفكار، وهذا شيء عادي نتيجة ما يحدث من تغيرات سريعة وهذا بدوره ينعكس على جهاز القيم اهتزازاً أو انقلاباً فالتغيرات الاقتصادية الجديدة والأفكار الحديثة تتصارع مع التقاليد القديمة، فضلاً عن الاتصال بالجماعات الأخرى مما يتيح الفرصة لإدخال قيم جديدة تناسب بعض الأفراد ولا تناسب البعض الآخر مما ينتج عنه عدم اتساق بين المؤسسات الاجتماعية.

وقد تستخدم القوة للحصول على الانسجام وتصبح السيطرة الاجتماعية أمراً شكلياً ومادياً أكثر منها أمراً معنوياً غير مقصود والذي يقارن الحياة العامة في مصر منذ الحرب العالمية الأولى وللآن يدرك أبعاد هذا التغيير، إذ

دخلت إلى المجتمع تقاليد غريبة عنه لم يتقبلها طوال عهده بها غير أنه سرعان ما تفاعل معها وكان لذلك كله أثره في النهاية على الشباب.

ويشير «زكى نجيب محمود» في هذا الصدد إلى أن الأجيال المتعاقبة، في حالة من الصراع الذي لا ينتهى، فالجيل اللاحق يسخط على الجيل الذى يسبقه ويريد أن يفلت من معايير وأحكامه ولا يبقى من سلفه إلا البقايا التى تمسك على الأمة تاريخها، فالشباب فى أى بلد أقوى ارتباطاً بالشباب فى سائر البلدان منه بالشيخوخة فى بلده، حيث إن الرابطة بين الشباب جميعاً يعتبر رابطة زمنية قوية أقوى من الرابطة المكانية بين الشيخوخة والشباب، ويؤكد على أن الصراع بين الأجيال يتجلى فى أوضح صورته حين تشتد قبضة التقاليد على رقاب الناس فتضيق النفوس بهذه القيود وينفجر الشباب ساخطاً غاضباً محاولاً تغيير ما هو قديم.

وبناءً على هذا، يجب أن يوضع فى الاعتبار ذلك الافتراض المهم القائل بأن رفض الشباب لقيم ومعايير الكبار هو ظاهرة معقدة يتعين دراستها من زوايا متعددة كما يجب فى الوقت نفسه أن تدرس اتجاهات الكبار نحو قيم الشباب ومبلغ رفضهم أو قبولهم لها، وذلك بهدف تخفيف حدة الصراع بين الأجيال السابقة واللاحقة من ناحية، وتخفيف معاناة الشباب والمراهقين من الصراع القيمي من ناحية أخرى.

وحول عوامل الصراع القيمي يشير البعض إلى الجهاز التعليمى كأحد عوامل الصراع القيمي لدى المراهقين حيث إنه بالرجوع إلى الجهاز التعليمى نجده لا يقوم بدوره الكافى لعاملين رئيسيين فيه يعملان على إثارة الصراع القيمي لدى الشباب وهما:

الأول : معلم غير كفاء.

الثانى : منهج غير وافٍ بحاجات المتعلم المختلفة وخاصة من الناحية الدينية والخلقية.

وهنا يشير «الباحثون التربويون»، إلى أن الدراسات المجراة حول مشكلات المجال المدرسى أوضحت أن المدرسة تحتاج إلى إصلاح فالنظام المدرسى والمدرسون يشكلون عقبة كبيرة فى سبيل نمو الطالب نمواً سليماً، كما أن المادة الدراسية لا ترتبط بالحياة اليومية للمراهقين ولا تشبع حاجاتهم الثقافية.

كما يرى «التربويون»، أن علل التعليم تتمثل فى عدم وجود فلسفة واضحة تحدد القيم والمبادئ التى يقوم عليها والأهداف التى يسعى إلى تحقيقها والعلاقة بينه وبين المجتمع، فضلاً عن أن هذا التعليم يعانى من تيارات متصارعة تظهر فى صور متعددة، كالفصل بين العلم والعمل، والفصل بين الثقافة والإنتاج، والكم والكيف والثنائية بين التعليم الدينى والمدنى.

ومن أمراض الجهاز التعليمى عموماً النظريات المستوردة غير الملائمة وما ينتج عنها من تجريد الشباب من الروح الدينية وما يخلفها من إحلال النفعية وتقديس المادة، والمعروف أن مادة الدين فى المدارس الإعدادية والثانوية لا تزيد عن حصتين فقط، والحصّة قد تكون آخر الجدول اليومى حين يبلغ الإجهاد عند المدرسين والطلاب مداه أو تكون وسطه أى فترة راحة بين مشقتين، هذا إن شرح المدرس وأصغى الطالب ولم ينشغل كلاهما بعمل خارجى، ومع الإهمال أثناء الدراسة يكون التساهل آخر العام، فقل أن يرسب طالب فى مادة الدين، والطالب يتلقى فى دروس الدين مبادئ وأحكاماً ثم يجد ما يناقضها فى مادة أخرى، وهو بينهما لا يستطيع أن يحدد اتجاهاته.

ومما يزيد الأمر خطورة، أنه فى المدارس الثانوية يودع الطلاب مادة الدين، فأخر عهدهم بها تلك الحصص التى تلقوها وكانت عبئاً ثقيلاً عليهم، أما فى الجامعة فلا مجال لمادة الدين، ومن ناحية أخرى فمادة الدين ليست مادة رسوب كما أنها لا تضاف إلى المجموع الكلى، وهذا ليس قاصراً فقط على المرحلة الثانوية وإنما أيضاً المرحلة الإعدادية، من هذا المنطلق لا يهتم الطالب بتلك المادة على الرغم من أهميتها الكبيرة وإنما يفضل عليها مادة أخرى لها وزنها فى تحديد مستقبله العلمى، ومن هنا يعانى طلاب المرحلة الثانوية من الأمية الدينية.

واستكمالاً لعوامل الصراع القيمي، يعد الإهمال أحد مظاهر الصراع القيمي في المجال الأسري، ويراد به ترك الابن دونما محاسبته على السلوك غير المرغوب، وهذا أخطر الاتجاهات ذلك أن أحد الوالدين أو كليهما في إهماله الابن إنما يحرمه من تنشئة اجتماعية سوية محتواها عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى اكتساب الفرد طفلاً فمراهقاً فراشداً فشيخاً سلوكاً ومعايير تمكنه من مسابرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها.

ومن ناحية أخرى، فقد كشفت دراسة «روكيتش» للبناء القيمي في مرحلة المراهقة والرشد أن قيمة الإنجاز تمثل أهمية كبيرة في البناء القيمي لدى المراهقين ويرجع ذلك إلى الضغوط التي يمارسها الآخرون في البيئة المحيطة بهم والدافع نحو التحصيل وخفض القلق وحل الصراعات، وتحقيق الذات والحصول على التقدير والمكانة في إطار المجتمع الذي ينتمى إليه المراهق.

وبمعنى آخر، فالمراهق يسعى إلى الإنجاز في ظل مناخ يتسم بالتفرد والاستقلال، فنضج الطالب عقلياً يمكن أن يساهم في مناقشة نسق القيم وتحليله من أجل تدعيم ما ينبغي تدعيمه، والتخلي عن القيم السلبية التي دعمت مثل التواكل والسلبية والتعصب في التفكير، ويتطلب هذا أن يصبح الهدف الأساسي في تلك المرحلة العمل على تدريب الطلاب على التفكير والقدرة على الجدل العقلي والمناقشة والحوار الديمقراطي من خلال طرح المشكلات الفلسفية المختلفة.

وسواء كان الصراع القيمي، نتاج عامل ذاتي أو بيئي (الأسرة - الجهاز التعليمي - وسائل الاعلام - ... إلخ) فقد زاده أو عمقه الانسياب الفكري بين المجتمعات إذ تحتل المنتجات الالكترونية مكاناً بارزاً في مجال الاتصال فلا يوجد عائق، مما جعل الزمان والمكان ليسا بحاجة.

ومن ثم، حدث الاتصال بين شباب العالم أجمع وكانت همزة الوصل بينهما هي «أزمة الشباب»، وهذه الأزمة تختلف باختلاف المجتمعات المتقدمة

منها والنامية وهى أقل عندنا فى الكم وإن لم يكن فى الكيف، إلا أن الثورة فى نفوس الشباب الشرقى هى نفس الثورة وإن كانت مكبوتة ومظاهرها محدودة، ولكن تأثيرها فى النهاية ليس بالأمر الهين.

وفى النهاية، فالصراع القيمي الذى يعانى منه الشباب والمراهقون، هو صراع بين ما تعلمه الشاب أو المراهق فى طفولته وآمن به من مبادئ وقيم، وبين ما يمارسه الكبار وممثلى السلطة من حوله فى الحياة اليومية مما يناقض هذه المبادئ والقيم ويؤدى ذلك إلى وقوع الحيرة والشك فى نفس المراهق.

## (١٣) المراهقون والدين

التدين استعداد فطرى وشعور بالحاجة إلى الخالق، لذلك فالفرد يؤمن فى طفولته بالشعائر والطقوس الدينية المختلفة غير أنه فى مراهقته يتخفف كثيراً من هذا الإيمان الشديد ويتجه بعقله لمناقشتها وفهمها والكشف عن أسرارها وبهذا قد ينحدر به الشك إلى الصراع، فهو يميل إلى التحرر الفكرى ليعالج به كثيراً من الموضوعات النظرية العقلية المجردة، ويمحص بفكره المعتقدات الدينية والتقاليد الأخلاقية والسياسية والعلاقات الإنسانية ... إلخ.

أى أن ظاهرة الشك الدينى تبدأ فى فترة المراهقة لأن الشاب خلالها يبحث عن حقيقة ذاته ويتساءل عن المجتمع الذى حوله وبحث عن تفسيرات لكل الظواهر التى تلفت نظره أياً كان نوعها، وإثبات ذاته يجنح إلى كل ما هو غريب فيشكك فى كثير من القيم ويتساءل فى استهتار عن قيمة هذا الشىء وهدفه وجدواه مما يثير انفعال المحيطين به وثورتهم عليه وهذه المجادلات التى يثيرها لا يكون استعداده مناسباً لها لقلة خبرته وضعف قدرته منطقياً وجدلياً، ومن ثم يكون فريسة سهلة لذوى الأغراض الذين ينتهزون فرصة إقباله على الأبحاث الدينية.

انطلاقاً من ذلك فقوى التدين تعنى أسلوب الفرد فى ممارسة العقيدة الدينية وهى قوى معنوية استمدها الفرد من المجتمع منذ طفولته بشكل معين يتناسب مع هذه المرحلة الضعيفة من الحياة، وظلت تنمو فى نفسه تدريجياً حتى أصبح لها ثقل جديد فى فترة المراهقة.

فاستجابة لنظام القيم البارزة فى ثقافة المجتمع يستحدث العقل فى هذه الفترة الحرجة من النمو منشأة جديدة هى قوى التدين لمواجهة ما استجد على البدن من تغيرات ودوافع جديدة وبخاصة الدافع الجنسى والدافع العدوانى، ومظهر هذه القوى فى اصطدامها بالدافع الجنسى ما يسمى باليقظة الدينية

أو الحماس الدينى المفاجئ على الشخصية والذى نشاهده كثيراً بدرجات متفاوتة على المراهقين.

والشعور الدينى فى المراهقة عامل قوى فى تغيير مشيرات واستجابات المراهق الانفعالية إذ إنه فى هذه المرحلة تقل نسبة ممارسته للعبادات المختلفة ولكن سرعان ما يعود إليها إذا مرت به أزمة ثم تفتت عزمته عن العبادة بعد انتهاء تلك الأزمة.

فظاهرة تذبذب الإيمان فى هذه المرحلة ترجع إلى اتصاله بنويات الشعور بالذنب حيث إن المراهقة فترة انبعاث للدافع الجنسى الأمر الذى يجعله بمثابة خطر يؤثر على كافة المعايير والمثل التى تخضع لها حياة الفرد، وحيث إن الشعور بالذنب ليس بقوة واحدة فى جميع الظروف فإنه يخفت حيناً ويشتد حيناً آخر، وفترة الاضطراب هذه تعد من أشق الأوقات على صاحبها إذ تبعث فى نفسه الضيق والكآبة فإذا اشتدت واستمرت قد تسبب الانتحار أو الجنون وأحياناً تأخذ بيد صاحبها إلى التصوف.

وفى هذا الإطار نشير إلى الشعور الدينى لدى المراهق على النحو التالى:

- (١) فى موضوع صفات «الله» نجد أن المراهقين يرددون صفات «الله» فيتحدث المراهق المسلم عن الوحدانية والقدرة والقوة والجبروت والانتقام من الظالمين كما يحاول تجريد ذات «الله» عن التشبيه والتجسيم ويشغل المراهق بالصفات والأفعال أكثر من الاشتغال بالشكل والصورة.
- (٢) إن شعور المراهقين نحو «الله» شعور فيه مزيج من حب «الله» وخشية «الله» والخوف من «الله»، كما يستند شعور المراهقين إلى التقلبات الانفعالية السريعة التى تعترى المراهقين وبخاصة فى النصف الأول فى فترة المراهقة.

(٣) يقبل المراهقون على ممارسة العبادة ويتصورون مسألة الثواب والعقاب، والجنة والنار، كما يتصورون الشيطان والملائكة وبصرف النظر عن كيفية هذا التصور، فإن الإيمان بالغيب جزء من العقيدة الإسلامية.

(٤) تصورات المراهقين عن «الله» ترتقى حتى تصبح فى النصف الثانى من مرحلة المراهقة ضرورة كونية، فتصور المراهق عن «الله» فرع من تصوره للكون.

(٥) إن المراهق فى وسعه أن يتأمل فى الموت من حيث هو مصير الناس جميعاً ومن حيث هو ظاهرة كونية ضرورية ولا يقف عند حد تعميمه على الناس جميعاً، بل يتعدى ذلك إلى تعميمه ليشمل جميع الكائنات.

(٦) إن المؤمنين بالله يجدون فى عقيدة العالم الآخر بديلاً عن الحياة الأرضية المليئة بالمتاعب.

(٧) ويميل المراهق إلى التضحية ولو أدى ذلك إلى الموت فى سبيل مبادئه ومثله.

وعلى الجانب الآخر، نشير إلى تعدد الاتجاهات الدينية لدى المراهقين فهناك المؤمن إيماناً تقليدياً وهناك المتحمس دينياً فمنهم الشاك ومنهم الملحد وإن كانوا نسبة ضئيلة، بجانب ذلك اتجاه المراهق إلى الله، فالمرهق كثير التعلق «بالله» ليستعين به فى إعلاء غرائزه، ويصل المراهق فى نهاية هذه المرحلة إلى الرشد الدينى وبذلك ينضج دينياً وخاصة إذا تضافرت وسائل التشويق فى المجتمع من أجل الوصول إلى هذا الهدف.

انطلاقاً مما سبق، يتضح أن مرحلة المراهقة من المراحل المهمة فى حياة الفرد الدينية فهى مرحلة التشكك فيما تقبله فى مراحل حياته الأولى كما أنها مرحلة النقد والتمحيص للأفكار الدينية التى تقبلها عن طريق الحفظ والتلقين فتحتاج إلى اقتناع عقلى لما يعرض على الأفراد من عقائد دينية، كما يؤثر ما لدى الفرد من خبرات دينية على هذه المرحلة من تعاليم دينية.

وتعتبر هذه المرحلة مرحلة المثالية والمكانة الاجتماعية والشعور بالذات، كما أنها مرحلة تبني القيم والمعتقدات الدينية التي تمكنه من مواجهة المختلفين عنه دينياً بما لديه من حجج وبراهين وأدلة عقلية.

والجدير بالذكر أن تلاميذ كل من المرحلتين الثانية من التعليم الأساسى (الإعدادية) والمرحلة الثانوية يعيشون فى مرحلة المراهقة (١٣ - ١٨ سنة) وهى مرحلة تحتاج إلى ما يقوى وعيهم الدينى ويثبت عقائدهم بمزيد من الفهم المستنير والتحليل الدقيق والتعليل الواضح السليم وتوضيح العلاقة بين الدين فى فترة المراهقة ومتطلبات تلك المرحلة، حتى يمكن بيان أهداف تدريس التربية الدينية فى المرحلتين الثانية من التعليم الأساسى (الإعدادية) والثانوية.

وفترة المراهقة من أهم الفترات فى حياة الشخص لدى معظم المذاهب الدينية لأنها مرحلة البلوغ ووقت الاستيقاظ، وفى هذه الفترة تعتبر العقيدة المكتسبة عقيدة شخصية، كما ترى بعض الديانات أنها الفترة التى يصبح فيها الشخص الصغير «الحدث» ناضجاً لاعتناق عقيدة أو أنه مستعد لأن ينغمس فى العقيدة الدينية باعتراف حقيقى أكثر مما كان بيديه وهو طفل وأكثر انطباعاً لديه من المرحلة السابقة.

وفكرة المراهق عن الدين هى فكرة تأملية منطقية فالمراهق يفحص الأفكار والمبادئ والقيم الدينية التى تلقاها فى طفولته، ومن ناحية أخرى يلجأ للدين كمخرج يحقق له الشعور بالراحة النفسية والأمن الذى فقده بسبب ما يعانیه من أزمات نفسية واضطرابات انفعالية نتجت عن التغيرات المختلفة التى طرأت عليه. معنى ذلك أن المراهق لا يتقبل أى مبدأ خلقى دون مناقشة فتمتاز فترة المراهقة بكثرة الأسئلة والحوار والمناقشة حول العقائد الدينية، وهذا ما أكدته بعض الدراسات ومن بينها دراسة «فرانز لو سنة ١٩٣٤»، والتى أشارت إلى أن الأطفال الأكبر سناً يميلون للسؤال عن معلومات كانوا قد تقبلوها فى طفولتهم.

ومن ناحية أخرى، نشير إلى ما يعانیه المراهق من الصراع الفكرى حول ما هو دينى وما هو واقعى، وقد يؤدى ذلك إلى صراع من نوع آخر وهو الشك

فى المبادئ والقيم الدينية نتيجة لما يراه من تيارات فكرية وضغوط اجتماعية وتقاليد بالية ومفاهيم خاطئة وهذا بدوره يخالف عقيدته الدينية الصحيحة، فالمراهقون لا يكتفون بالتفسيرات العادية بل يحتاجون لمزيد من فهمهم للدين بتحليل دقيق وتعليل واضح لأنها فترة الثورة على كل ما هو مألوف، وقد بينَ «واجنر هيلمر 1982: Wagner Hilmar» العلاقة بين الدين والمراهقة وتأثير تلك الفترة على المفاهيم الدينية، وأوصى بأهمية الاهتمام بالمراهقين وتوجيه المساعدة إليهم وخصوصاً فيما يتعلق بالدين نظراً لما يؤثر على المراهقين فى تلك الفترة وعلى معتقداتهم الدينية.

فللدين أهمية كبيرة فى مرحلة المراهقة، وهذا ما أشارت إليه بعض الدراسات وهذا يعنى أن الانتماء للدين والالتزام بمبادئه وطقوسه وإقامة شعائره أمر مهم فى حياة المراهق حيث يساعده على مواجهة التغييرات والصراعات المختلفة التى يتعرض لها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالالتزام بالقيم الدينية يحمى المراهق من الانحراف ومن التورط فى المشاكل السلوكية.

وعلى الجانب الآخر وحول مشيرات الصراع القيمي فى المجال الدينى نشير للآتى:

(١) يعود المثير الأول إلى التناقض بين ما تفرضه تعاليم الدين والمثل الأخلاقية المتعارف عليها وبين الرغبة فى إشباع حاجات الشباب وخاصة ما يتعلق منها بالجنس ومن ثم يلاحظ السلوك الترددى بين التدين وعدمه.

(٢) يعود المثير الثانى إلى أن روح الدين متأصلة فى الشباب والمشكلة إذًا صراع يعيشه ناتج بين ما يتفاعل فى نفسه وإحساسه، وبين تناقضات تنهال على عقله، أما حياته اليومية فهى لا تساعده فى تأكيد إحساسه الدينى بل تناقضه وتشده إلى صراعات ومتاهات وما ينتج عنها من حيرة واضطراب، فهو فى الشارع يرى تبذلاً أو يسمع فحشاً دون أن يرى عقاباً رادعاً أو موقفاً حازماً بل يرى تفسحاً قيمياً مرخصاً به،

ويرى فى جانب آخر أجهزة الإعلام تتحدث عن الشباب المنحرف أو المتطرف،... إلخ، من غير أن يقابل ذلك توجيه رشيد.

(٣) مثالية الشباب مع فطرتهم النقية، وقد زاد فى مثاليتهم عرض الإسلام فى أسلوب الماضى وبذلك يبدو الإسلام غريباً أو فى عزلة عن حياة الشعب المعاصرة ويزيد الأمر تعقيداً محاولة البرهنة على بهاء الدين ومجده بتصوير الواقع الإسلامى فى عهد ازدهاره بصورة تقربه من الفكر الأسطورى، دون النظر إلى الواقع نظرة شاملة تبدو فيها قوى البناء وقوى الهدم معاً فى آن واحد وبغير ذلك تزداد الفجوة بين الشباب وواقعه إذ إن تشويه الماضى والحاضر بتكبير أو تصغير يعنى اضطراب العمل ومعاداة الحاضر والانصراف عنه، ومن منطلق المثالية وهذا العرض المشوه تعلق الصيحات الشبابية لإقامة حكومات دينية.

(٤) محاولات تغريب المجتمع الإسلامى، وقد قابل مثالية الشباب أيضاً عملية تغريب يعيشها العالم الإسلامى ويقول «ويبنى» إن التغريب لم يكن من وضع الأوروبيين بل نتيجة عمل الشرقيين المهنيين من أبناء الطبقة الوسطى وكان فى طبيعتهم المحامون والصحفيون، فكل مراكز الدولة الحساسة فى أيديهم، ومن ثم أدخلوا الأساليب الغربية إلى كل مناحى الحياة مما جعل الشريعة الإسلامية تعيش غريبة عن أرضها نتيجة الانصراف العملى عنها مما سبب فى النهاية صراعاً عند الشباب بين قيم أصيلة هنا وقيم وافدة من هناك.

وأرى أن الأمر يزداد خطورة حينما يصور مفكرو الغرب أو الشرق الإسلام للشباب بصورة مشوهة هادفين من ذلك زعزعة الثقة الدينية عندهم، ويصارع الشباب تيار التغريب من جهة، وعرض الإسلام الباهت داخليا من جهة أخرى، ومن ثم تظهر نتائج الصراع على الفرد والمجتمع.

## (١٤) المراهقون والتطرف الديني

يعتبر الشباب من أكثر فئات المجتمع عرضة للتطرف وذلك نظراً لما يتميز به الشباب من خصائص سنية وسمات نفسية، حيث يميل الشباب إلى إحلال ثقافات خاصة بهم محل الثقافات التقليدية للكبار، يحاولون من خلالها التأكيد على الخصوصية وعلى الرغبة فى الاستقلال النسبى والميل للعمل السياسى وعدم الامتثال للقيم والمعايير والأساليب السلوكية السائدة فى المجتمع.

وإذا قامت هذه الاتجاهات بين الشباب على الوعى الجمعى الذى يهيبئ المناخ الموضوعى للحركات ذات الأهداف البناءة فإنه يعتبر نموذجاً للثقافة الفرعية الوظيفية التى تخدم التكامل الثقافى للمجتمع، ولكن يحدث أحياناً أن تظهر ثقافات شبابية تعبر عن تيارات معادية وبذلك تتحول إلى ثقافات غير وظيفية لا تخدم عمليات البناء وتتجه نحو تبنى ثقافة مضادة تعبر عن تحد سافر للقيم والمعايير التى يتقبلها المجتمع، وتتضح فى نزعات التمرد والعصيان والانحراف والسلبية، وتعبر عن وقوعه تحت سيطرة مشاعر القلق والصراع والإحباط والاعتراب ويعتبر التطرف أحد مظاهر الاستجابة لهذه المشاعر.

انطلاقاً من ذلك نشير إلى أن خصائص وسمات المراهقين تجعلهم أكثر تهيئة من غيرهم للاتجاه نحو التطرف وذلك لأنهم (المراهقين) ذوو طابع راديكالى يرفض القديم وينزع إلى التجديد، وكذلك رفض السلطة والتطلع إلى الحرية والعدالة الاجتماعية بالإضافة لميل المراهقين للإقدام على المخاطرة وعدم الأخذ بالنظم التقليدية.

كما يزداد فى مرحلة المراهقة الميل للاستقلالية والاعتماد على الخبرات الشخصية وعدم تقبل السلطة وخاصة تلك التى يحاول فرضها الكبار، بالإضافة للرغبة فى معارضة النظام القائم.

وفى ضوء ما سبق عرضه، يتضح ارتباط مرحلة المراهقة بالتطرف الدينى، حيث أشار الباحثون عند تناول الزاوية الدينية فى المراهقة إلى أن هذه الفترة تتميز بأنها فترة يقظة دينية حيث توضع فيها المعتقدات التى قد كونها الفرد فى طفولته موضع الفحص والمناقشة والنقد وتعرض لكثير من التعديلات حتى تتفق مع حاجاته الجديدة الأكثر نضجاً، وتعرف اليقظة الدينية بأنها زيادة الاهتمام بالدين الذى يؤدى إلى إعادة تنظيم معتقدات واتجاهات المراهق.

وفى هذا الإطار نشير إلى اختلاف علماء النفس فيما بينهم حول العمر الذى تبدأ فيه اليقظة الدينية حيث إنه من خلال أبحاث كل من: «ستاريوك، زيتريج، ستانلى هول، البورت»، عن المدى العمرى لليقظة الدينية فى هذه المرحلة خلص أحد الباحثين إلى أن اليقظة الدينية فى مرحلة المراهقة تقع ما بين الثانية عشرة والتاسعة عشرة (١٢ - ١٩ سنة)، ثم تبدأ بعد ذلك فى الاستقرار، وقد تناول الباحثون اليقظة الدينية لدى المراهقين على محورين أساسيين:

أ - العوامل المؤثرة فى نمو اليقظة الدينية.

ب- نماذج وأنماط اليقظة الدينية.

وحول المحور الأول والذى يرتبط بالعوامل المؤثرة فى نمو اليقظة الدينية قامت «اليزابيث هيرلوك Hurlock» بإجمال هذه العوامل والعناصر فى النقاط التالية:

(١) نمو الذكاء (النمو العقلى) لدى المراهق حيث يستطيع أن يقوم بالتفكير فى المعتقدات الدينية التى كان يتقبلها بدون مناقشة أثناء مرحلة الطفولة.

(٢) يتمثل العامل الثانى فى أثر جماعة الأقران حيث يقلد المراهق قرناه فيما يظهرون من اهتمام بالدين وأيضاً يقلدهم حين يبدأون فى تقييم ولائهم الدينى.

(٣) الظروف الطارئة التي يمر بها المراهق (كالمرض - موت أحد المقربين له) تعطى المراهق دفعة قوية لتقوية اهتمامه بالأمر الدينية.

(٤) البيئة التي ينشأ فيها المراهق تعد من أهم العوامل فى اليقظة الدينية فإذا كانت العائلة، والمدرسة، والجماعات المختلفة التى ينتمى إليها المراهق تهتم بالدين فإن المراهق يساير هذا الاتجاه أكثر مما لو كان قد نشأ فى بيئة أقل تمسكاً بالدين.

وإذا كانت اليقظة الدينية تتميز بفحص المراهق للأفكار والمبادئ الدينية التى تلقاها فى طفولته فإن هذه اليقظة تأخذ أشكالاً عدة فى هذه المرحلة وأنه من الأهمية التعرض لهذه النماذج حيث يتضح من خلالها كيفية تكوين الاتجاهات الدينية المتطرفة لدى المراهق. فى هذا الإطار تشير «هيرلوك Hurlock» إلى أن اليقظة الدينية فى مرحلة المراهقة تأخذ شكلين أو تظهر من خلال نموذجين هما:

(١) النموذج أو النمط التدريجى: وفى هذا النمط يقوم المراهق بفهم المعتقدات الدينية بشكل هادئ مما يؤكد على الاتجاهات الدينية الصحيحة التى تتوافق مع احتياجات سنوات المراهقة.

(٢) النموذج أو النمط المفاجئ: ويتميز هذا النمط باهتمام المراهق المفاجئ بالدين وفى هذا النمط يشعر المراهق بالحنج من جراء خبراته مما يجعله يشعر كذلك بالتوتر الانفعالى الشديد.

ونشير إلى أن النماذج السابقة تتسق مع أشكال اليقظة الدينية التى ساقها «عبد المنعم المليجى» حيث أشار إلى أن الحماس الدينى هو أول مظهر من مظاهر اليقظة الدينية لدى المراهقين، فالنمو الجديد يدفع المراهق إلى مراجعة موقعه لا شعورياً من العالم بعامه ومن الدين على وجه الخصوص، فمعتقدات الطفولة أصبحت لا ترضى حاجاته المتجددة والمتطلعة إلى آفاق جديدة، والحماس الدينى يأخذ مظهرين هما:

أ - الحماس الإيجابي.

ب- الحماس الخرافى.

وفى هذا الإطار وحول المظهر الأول للحماس الدينى والذي يتمثل فى الحماس الإيجابى، يشير «عبد المنعم المليجى» قائلاً: يتميز موقف الفرد المتحمس تحمساً إيجابياً بأنه موقف المجدد للدين الذى يهدف إلى تنقية الدين من الشوائب وتحريره من الجمود، وقد يخرج المراهق فى عملية تطوير الدين هذه على كثير من التفاصيل التى كان يراعيها من قبل وبذلك يعد المراهق لا مجدد فحسب بل ومتمرد أيضاً على الدين التقليدى ومثليه، ومن هنا كان الهجوم الذى يشنه المراهق على رجال الدين التقليديين لجمودهم، ولذلك نعتبر أن الحماس الدينى الإيجابى هو الدافع وراء تمرد المراهق على السلطة القائمة.

كما يشير العلماء عند تناولهم للمظهر الثانى للحماس الدينى والذي يتمثل فى «الحماس الخرافى» إلى أن المراهق قد يكون ذا عقلية بدائية طفلية بطريقة سحرية ذات نزعة وسواسية، ويتوسل إلى تحقيق أغراضه بالسحر ويجد هذا المراهق راحة كبيرة فى الركون إلى الدين ويغالى فى تأدية الطقوس والعبادات ويضيف عليها إرضاء للنزعة الوسواسية المغلغلة فى نفسه، وبهذا يعد الإمعان فى هذا النمط من الحماس عرضاً مُرضياً وحلاً للصراعات النفسية بأسلوب تخيلى ويعد أصحاب هذا النوع من الحماس تربة صالحة للاعتقادات الفاسدة والأفكار المتعصبة.

ومن ثم، نشير إلى أن مرحلة المراهقة تحتاج إلى عناية خاصة وتركيز من جانب المربين تجاه الدين، لأن الدين الوازع الأول والموجه والمرشد لسلوكهم ويجنبهم الوقوع فى الخطايا والرذائل، ويجب تقديم المفاهيم الدينية الصحيحة لتصحيح ما لديهم وما يطرأ على دينهم من أفكار دخيلة وتضليل لعقائده وشرائعه من أعداء الإسلام حتى يقوى إيمانهم وتتحقق لديهم السلامة الفكرية فى اتجاهاتهم وآرائهم ويصبح الدين سلوكاً فى حياتهم.

فى ضوء ذلك نشير إلى أن مرحلة المراهقة تختلف عن المراحل الأخرى حيث تتفتح فيها استعدادات المراهقين وقواهم النفسية للاتصال بالوجود، كما أنها مرحلة التأثير بالمثل العليا فالأفراد لا يكتفون من المعارف الدينية بالتصور والفهم بل يطلبون تفسيراً عقلياً وتحليلاً صحيحاً للأسس التى بينون عليها معرفتهم خاصة وأن مغريات الحياة وبريقها وما يدور حولهم من تيارات فكرية واتجاهات مذهبية هدامة تتخذ أفكارها ووسائلها المتعددة لجذبهم تجاهها.

المراهقون قد تختل موازين القيم والأخلاق عندهم، وقد يتعرضون للتيارات الفكرية المنحرفة أو المذاهب المتطرفة التى تدفعهم إلى التمرد، ولذا فإنه فى هذه المرحلة يحسن التركيز على القيم الدينية وعلى السلوك الاجتماعى الذى يرتضيه الدين ولهذا فأهداف التربية الدينية الإسلامية فى هذه المرحلة هى:

- (١) دعم العقيدة الإسلامية فى نفس المراهق وإثارة وجدانه الدينى الذى يوجهه إلى الخير ويعصمه من الشر.
- (٢) دعم الإيمان فى نفس المراهق بما شرعه الإسلام من عبادات ومعاملات بالتفكير الحر والمنطق السليم.
- (٣) دعم إيمان المراهق بالقرآن الكريم بالتعرف على وجوه إعجازه وما يشتمل عليه مما يحقق سعادة الفرد والمجتمع واستمرار اتصاله به وحفظ جزء منه مع فهم معناه الإجمالى.
- (٤) دعم إيمان المراهق بالسنة النبوية والتعرف على مصادر التشريع الإسلامى وعلى أئمة هذا التشريع.
- (٥) حماية الإسلام من أباطيل خصومه ومواجهتها بالحقائق العلمية التى تظهر بطلانها.
- (٦) تهيئة القدوة الصالحة له بعرض نماذج إسلامية ذات أثر فى الدين أو فى العلم أو فى الحياة.

(٧) اعتزازه بالإسلام اعتزازاً يجعله موضوع اهتمامه وتقديره واتباعه والدفاع عنه.

(٨) اهتمامه بالعالم الإسلامى والمشاركة فى كل عمل يعود عليه بالنفع والفائدة.

(٩) إيمانه بالنظام الأمثل الذى شرعه الإسلام للأسرة حتى تستقر وتسعد، وللدولة حتى تنهض وللعالم حتى يسوده السلام والرخاء فى ظل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ومن ناحية أخرى نؤكد على ضرورة تنمية وعى المراهق الدينى بشكل بناء يحفظ له عقيدته من الإلحاد والانحراف من خلال تقديم المنهج للآراء والحقائق الدينية الصحيحة التى تتيح له الحكم على التيارات الفكرية المعاصرة بأسلوب منطقى مقنع يقوم على الحجة والبرهان، وأيضاً تبصير المراهق بقدرة الإسلام على تنظيم الحياة بكل ما فيها من أبعاد، بالإضافة إلى إتاحة فرص ومواقف تعليمية مناسبة للطالب (المراهق) تسمح له بالمناقشة وإبداء الرأى فى المسائل والقضايا المتعلقة بموقف الفكر الإسلامى من القضايا الحياتية المعاصرة.

obeikandi.com

## «تلخيص»

من خلال هذا الكتاب - عزيزى القارئ - تناولنا فصلين رئيسيين الأول بعنوان «التطرف الدينى» ومن خلاله تم عرض مقدمة تمهيدية اتضح من خلالها أن التطرف الدينى ظاهرة دولية عالمية قديمة قدم الإنسانية وأن المتشددين موجودون فى كل فكر ومذهب وملة.

ولتحديد ماهية التطرف الدينى تمت الإشارة للتعريفات: اللغوية - الإحصائية - الاجتماعية - النفسية - الدينية، ومن خلال تلك التعريفات استخلصنا أن التطرف سواء كان (دينيًا - اجتماعيًا - ... إلخ) يقصد به الغلو والتشدد وتجاوز حد الاعتدال، وهذا يعنى أن للتطرف أنواعاً عديدة منها التطرف: الدينى - السياسى - الاجتماعى - الفكرى السلوكى ... إلخ، وللتطرف الدينى مظاهر لعل أهمها: التعصب الجمود - التشدد - المغالاة.

ويتفق معظم العلماء فيما بينهم على أن التطرف الدينى ليس له أى آثار إيجابية، وإنما كل آثاره سلبية، فالتطرف الدينى حالة من الجمود والانغلاق العقلى وتعطيل القدرات الذهنية عن الإبداع والابتكار وإيجاد الحلول للمشكلات المتغيرة فى عالم سريع التغير، وعلى ذلك يكون انتشار هذه الحالة مهدداً لا لتطور المجتمع فحسب بل لبقائه واستمراره لأنه (أى التطرف الدينى) يعطل الطاقات الإنسانية كافة ويستنزفها، فحين يطغى التطرف الدينى يصبح المجتمع عاجزاً عن التفكير فى حلول مبدعة لمشكلاته وعن تطوير ذاته ومن ثم يصبح تابعاً ويفقد استقلالته وتحديد مصيره ومستقبله.

كما أن للمتطرفين دينيا سمات وخصائص، فعلى المستوى السيكولوجى يتسمون بالتشدد والتعصب وعدم الثقة فى الذات وفى الآخرين ... إلخ.

ولتكوين رؤية واضحة شاملة لأبعاد ظاهرة التطرف الدينى كان لا بد من التعرض للمحددات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبناء الاجتماعى «Social Structure» وكذلك التغيرات الاجتماعية المختلفة التى تتعرض لها

النظم الاجتماعية «Social Systems» هذا إلى جانب الآراء ووجهات النظر التي خرجت من قبل بعض الباحثين لتفسير أسباب وعوامل ظاهرة التطرف الديني مع تدعيم تلك الآراء بنتائج دراسة حديثة قمت بإعدادها حول أهم الدوافع الكامنة وراء تطرف المراهقين والمراهقات تطرفاً دينياً، بالإضافة لبعض النظريات السوسيولوجية والسيكولوجية كإطار لتفسير تلك الظاهرة.

ثم كان لا بد من الإشارة لموقف الإسلام الصريح الواضح من التطرف الديني والتعصب الأعمى والجمود والتصلب والتشدد، ذلك الدين الذي يحث على الاعتدال والوسطية ونبذ التطرف والتعصب فالدين الإسلامي يدعو للحوار والمناقشة والشورى فهو ذو منهج معتدل متسامح وأسلوب بعيد عن المغالاة.

أما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان «المراهقون» ومن خلاله أشرنا في البداية لمقدمة تمهيدية اتضح من خلالها أهمية مرحلة المراهقة والتي تقابل كلاً من المرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية، ثم أشرنا لمفهوم المراهقة ومشكلة تعدد التعريفات، وأهم النظريات المفسرة لها كمرحلة عمرية مهمة ومؤثرة في حياة الفرد، كذلك تم توضيح الفرق بين المراهقة والبلوغ وذلك لتجنب الخلط بينهما.

ولفهم تلك المرحلة - المراهقة - كان لا بد من تناول السمات والخصائص التي تميزها عن المراحل العمرية الأخرى، وانطلاقاً من تلك السمات أدركنا ميول المراهقين، هذا إلى جانب توضيح مختصر لأهم مظاهر النمو في تلك المرحلة، وذلك من خلال معرفة التغيرات المختلفة التي طرأت على جميع جوانب شخصية المراهق، ومن ثم أهم مطالب وحاجات المراهقين المترتبة على هذا النمو، كما ألقينا الضوء على أهم المشكلات التي تواجه المراهقين وتعوقهم عن النمو السوي.

بعد ذلك انتقلنا لأهم الجماعات الاجتماعية المؤثرة في حياة المراهقين والتي تتمثل في: الأسرة - المدرسة - جماعة الأقران، حيث نؤكد على أن تلك الجماعات إنما تشكل أهمية وخطورة كبيرة على حياة المراهق فهي إما تدفعه للطريق السوي الصحيح وإما لطريق: الانحراف، التعصب، اعتناق الفكر الديني المتطرف والسلوك الإرهابي، ... إلخ.

ثم تناولنا عدداً من الأبعاد الأخرى أرى أنها تشكل أيضاً أهمية وخطورة كبيرة على حياة المراهق، فتعرفنا على أهمية العلاقات العائلية للمراهق وتأثير تلك العلاقات على نموه السوسولوجي والسيكولوجي، أيضاً تعرضنا لأزمة الهوية والتي تمثل أخطر مشكلات مرحلة المراهقة والتي تنشأ من عدم فهم المراهق لذاته الجديدة وتقبلها، هذا بالإضافة لتوضيح العلاقة الوثيقة بين مرحلة المراهقة وبين السلطة الوالدية، المعاناة من الصراع القيمي، اعتناق الفكر الدينى المتطرف.

ثم تناولنا مدى أهمية الدين للمراهق، ومدى احتياج المراهق لإشباع ما لديه من رموز عينية لتوضيح مفهومها لأنها مرحلة الاستقلال الفكرى حيث يبدأ المراهق بوضع تصوره الخاص والذي يحتاج لإشباع ما لديه والقضاء على الصراعات التي تدور فى داخله والتي قد تؤدي لزعزعة العقيدة الدينية لديه، كما تبين أهمية هذه المرحلة العمرية فى حياة المراهق والتي تحتاج لتوجيه وإرشاد دينى ليتمكن تجنب العوامل المؤثرة على عقائده وديانته لتثبيت عقيدته وتقوية دينه، ولذلك تكون للثقافة الدينية أهميتها فى هذه المرحلة ويقع الدور الأكبر على المربين والقائمين على العملية التعليمية بتوفير المناخ والبيئة التي تساعد على النمو الدينى السوى وإمدادهم بمتطلباتهم، وحاجاتهم من المفاهيم الدينية الصحيحة التي تمكنهم من مواجهة ما يعترض عقيدتهم الدينية وتثبيتها فى نفوسهم.

وأخيراً يمكن القول: إن المراهقة رغم أنها مرحلة المثالية والآمال والطموح وفرص النمو الشخصى وتحقيق هوية ذاتية، إلا أنها المرحلة التي يقل فيها الشعور بالرضا ويظهر فيها القلق والاكتئاب ويزداد معدل المشاغبة والجنوح، وتظهر فيها محاولات الانتحار وتشهد بداية التدخين والإدمان، واعتناق الفكر الدينى المتطرف، وغيرها ولذلك فالمرهقون أكثر احتياجاً من غيرهم للتوجيه السليم والمناقشة الحرة الواعية المدركة لكافة التيارات والاتجاهات والأفكار العالمية، ونوع القيم والمبادئ السائدة والموقف من كل منها، وأن نخضع تفكيرنا ومناقشاتنا معهم للواقع الموضوعى كما يتمثل فى مجموعة ظروفنا وأحوالنا وأحكام ديننا، حتى يتبين المراهق حقيقتها ويستقيم به الطريق.

obeikandi.com

## « خاتمة »

وأخيراً ... أرى ضرورة الالتزام بالآتى:

(١) التربية الدينية داخل المدارس عليها أن تغرس فى المراهقين قيماً دينية حتى يستطيعوا أن يلتمسوا الحلول لمشكلة تشغل بالهم حتى يحسوا من أعماقهم أن الدين متصل بحياتهم وأنه منظم لها ويجدون فيه الأمن والسلام.

(٢) الكتاب المدرسى للتربية الدينية الإسلامية عليه أن يؤسس الشخصية التى يود المجتمع الإسلامى أن يكونها فنحن نريد شخصية إسلامية تتمسك بالعقيدة الصحيحة والأسوة الحسنة.

(٣) ضرورة مراجعة المفاهيم والتصورات التى تستخدم فى وصف وتشخيص تطرف الشباب المصرى، هذه المفاهيم والتصورات تدفع البعض إلى التحيز ضد الشباب والمراهقين مثل مفاهيم التمرد والعصيان والرفض، والابتعاد عن المعايير والقيم، وهذا جعل البعض يلجأ إلى استهجان هذا السلوك وإدانته بدلاً من البحث عن دوافع هؤلاء المراهقين وحاجاتهم النفسية غير المشبعة.

(٤) يجب تطوير مناهج وكتب التربية الدينية تطويراً يحقق غرس القيم فى نفوس النشء، وإن من الأسس التى يجب أن تراعى فى وضع المناهج الدراسية الدعوة للتمسك بالفضائل والقيم الروحية الدينية إلى جانب تطبيق المثل العليا فى الحياة كسلوك وعمل وليس مادة تحفظ وتنسى.

(٥) يجب زيادة الجرعة الدينية والاهتمام بالتربية الدينية فى المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية من حيث الشكل والمضمون، بحيث يتم عرض المفاهيم الدينية الصحيحة، مع إضافة درجات مادة التربية الدينية إلى المجموع الكلى لدرجات الطلاب، أى يجب اعتبار مادة التربية الدينية مادة أساسية من مواد الامتحان.

- (٦) ضرورة العناية بتنشئة الأجيال الصاعدة فى الأسرة على الإيمان بالقيم الروحية المستمدة من رسالات السماء ومن الثقافة العربية الأصيلة واتخاذها أساساً للسلوك والتعامل.
- (٧) أن يكون قادة الاتحادات الطلابية على كافة المستويات قدوة طيبة فى الدين والخلق والمعاملة ودعاة خير ورسل فضيلة، وأن يكافحوا الفساد والمعتقدات الخاطئة ما استطاعوا حتى يحتفظ الدين بجوهر رسالته.
- (٨) تشجيع المراهقين على تكوين جماعات للنشاط الثقافى أو الدينى أو الاجتماعى لاستغلال ميلهم إلى الارتباط بالجماعة.
- (٩) توسيع خبرات المراهق ومعرفته للجماعات الفرعية فى المجتمع.
- (١٠) تشجيع المراهق على تقليد المتفوقين وتقليد البطولات والأعمال فى المجالات المستطاعة وليجعل المدرس نفسه قدوة لتلاميذه.
- (١١) استغلال جماعات النشاط لتوجيه المراهقين عملياً إلى إدراك قيمة التأخى والمودة مع الآخرين.
- (١٢) احترام ميل المراهق ورغبته فى التحرر والاستقلال دون إهمال رعايته وتوجيهه بطريقة غير مباشرة.
- (١٣) ترك الحرية للمراهق فى اختيار أصدقائه مع توجيهه والتأكد من سلامة المعايير الاجتماعية السائدة بين أصدقائه.
- (١٤) أن تتضافر جهود المحيطين بالمراهق من بيت ومدرسة ووسائل إعلام وجميع المؤسسات فى توعية الشاب المراهق دينياً ليس عن طريق الوعظ والإرشاد الدينى فقط بل بالقدوة السليمة والإقناع العقلى.
- (١٥) تعويد الطفل على حرية الرأى والمناقشة حتى إذا ما جاءت مرحلة المراهقة ناقش أموره بوضوح وتمكن من حل مشكلاته المرحلية.
- (١٦) مساعدة المراهق على إيجاد غايات كبرى يسعى لتحقيقها وتكون موجهة لسلوكه العام وليكن ذلك بطريق غير مباشر لأن المراهق فى هذه المرحلة يكون فى طور عناد مع الكبار.

- (١٧) العمل على نشر الثقافة الدينية بين المراهقين.
- (١٨) دعم النمو الخلقى عند المراهق وتدعيم تمسكه بالدين.
- (١٩) مساعدة المراهق للتخلص من التعصب الديني ضد الأديان الأخرى.
- (٢٠) ضرورة أن يكون الأساتذة قدوة فى الأخلاق التربوية الحميدة التى تجعل منهم مثلاً أعلى للطلاب المراهقين حتى تكون العملية التعليمية فعالة وهادفة، ويسمح من خلالها بالتواجد الذاتى للطلاب داخل قاعات الدروس وبصورة تنمى فى الشباب الرغبة فى الاعتماد على النفس والثقة بما يلائم المرحلة السنية للشباب.
- (٢١) ضرورة أن تستعين المدرسة بعدد من رجال الدين المتميزين لتولى إدارة المساجد وتولى شئون التوجيه والثقيف الدينى بها بما يقطع الطريق على الراغبين فى الهيمنة على تلك المساجد أو توظيفها فى الترويج لفكر معين.
- (٢٢) العمل على إعلاء قيمة رجال الدين فى نظر الشباب بما يعيد لهم مصداقيتهم بين الشباب، ويعينهم على القيام بواجباتهم.
- (٢٣) ضرورة عقد لقاءات دورية بين الطلاب المراهقين والمسئولين بالمدرسة تقوم على الحوار والمناقشة وتناقش فيها كل القضايا المتصلة بالطلاب، لتربية الشباب على الأساليب الإيجابية فى الحوار.
- (٢٤) يجب إغلاق كل مدرسة تحض على التطرف الدينى.
- (٢٥) ضرورة وضع خطة لمواجهة التطرف، تشترك فيها مع الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف والإعلام والتعليم والشئون الاجتماعية والشباب والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وكذلك وزارة الداخلية.
- (٢٦) تكثيف جهود علماء الدين لتوعية الشباب بالمفاهيم الدينية الصحيحة، فيجب على علماء الدين والمفكرين القيام بدور أكبر فى مجال حماية الشباب والمراهقين من الأفكار المنحرفة وتوعيتهم بالمفاهيم الدينية

الصحيحة وتقديم الثقافة الإسلامية للشباب بشكل ميسر بعيداً عن الخلافات المذهبية.

(٢٧) تنمية التفكير الناقد.

(٢٨) تعويد الطلاب على ممارسة التفكير العلمي الذى يحتمل الثواب والخطأ تأكيداً لحاجة العقل الإنسانى إلى المرونة The Flexible وتقبل الآخر وعدم استبعاده وكلها من أسس الديمقراطية لأنها تقبل التعدد والتغير والتجدد والتطور والنقد والتجريب، ولا تحتكر الحقيقة ولا تدعى الإطلاقية والثبات فى أحكامها، بل تتسم نتائجها وأحكامها بالرغم من طابعها الكلى بالنسبية والموضوعية.

(٢٩) التعود على تقبل القضايا الخلافية باعتبار أن الاختلاف فى الرأى ظاهرة إنسانية لا يصح أن يقابل بالرفض والاستبعاد، ولا يفسد للود قضية.

(٣٠) التعود على احترام شخصيات الآخرين وعدم امتهان الآخر أو التقليل من شأنه باعتبار أن هذا الاحترام تثبيت لقيم الإنسان.

(٣١) نظراً لأن وسائل الإعلام وخاصة الإذاعة والتليفزيون مكمل للثقافة الذى يتم داخل المدرسة، فإن هذه الوسائل تقدم نماذج للممارسات التى تؤثر فى سلوك الطلاب والشباب فى المدارس فيجب أن يُراعَى فى النصوص والبرامج الإذاعية والتليفزيونية الأهداف التى تؤكد على مفهوم التعددية وتقبل الآخر بحيث يكون الأثر والانطباع الذى تتركه هذه البرامج مؤثراً تأثيراً إيجابياً يحقق مفهوم التعددية والحرية والديمقراطية الصحيحة والتعايشية مع الاختلاف مع الآخرين والنظر إلى هذا الاختلاف على أنه مصدر ثراء وليس مصدر كراهية واستبعاد.

(٣٢) مواجهة الفكر بالفكر الصحيح، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال الاعتماد على علماء متخصصين فى شتى مناحى الفكر الإسلامى وزيادة عدد الدعاة من ذوى الكفاءة وانتقائهم وفق معايير فقهية وعلمية تؤهلهم لدور القيادة وخدمة أهداف الدعوة.

(٣٣) يجب وضع التدابير الملائمة للحد من أزمة البطالة بين الشباب واستثمار كافة العناصر البشرية الشابة.

(٣٤) ضرورة التنسيق بين مختلف وحدات وأجهزة الإعلام بخصوص وسائلها الإعلامية الموجهة للشباب والمراهق حتى لا تصطدم هذه الجهود بعضها ببعض الآخر، فمثلاً قد يبث التلفزيون في برامجه بعض القيم والسلوكيات غير المرغوب فيها فيضيع تأثير الأسرة والمدرسة، نظراً للتعایش اليومي بين المراهق والتلفزيون، ويستتبع ذلك الرقابة الصارمة على الأفلام والبرامج التي يعرضها التلفزيون نقلاً عن تليفزيونات الغرب أو من إنتاجه لأنها قد تحمل قيماً بمبادئ تصطدم بمبادئ وقيم سائدة أو مرغوب فيها، فيجد المراهق نفسه أمام تناقض مما يجعله يتشكك في كل الرسائل الإعلامية ولا يصدقها.

(٣٥) ضرورة ربط التعليم بأهداف المجتمع وذلك من خلال تطوير المناهج الدراسية لتناسب القيم المستهدفة والقيم السائدة ولتحتوى على الموضوعات التي تساهم في التنشئة السليمة، نظراً لأهمية دور المدرسة البالغ الأهمية في عملية التنشئة عموماً والتنشئة الدينية خصوصاً.

(٣٦) المطالبة بإفساح الوقت للأنشطة الرياضية والثقافية وتوسيع نطاق المشاركة الجادة للمراهق في خدمة مدرسته وإدارتها، لأن المشاركة المدرسية تزرع في وجدان الطالب المراهق مدى أهمية هذه المشاركة لبناء نفسه ومجتمعه وبالتالي يصبح سياسياً مشاركاً وممارساً في المستقبل.

(٣٧) ضرورة التوعية المستمرة بدور الأسرة المهم في بناء المراهق دينياً وسياسياً واجتماعياً.

(٣٨) لا بد من بذل الجهود لإقامة المكتبات العامة الخاصة بالمراهقين والشباب، كما يجب ضرورة إيجاد مكتبة مدرسية على مستوى معقول في كل مدرسة ثانوية وإعدادية بل وابتدائية أيضاً، مع فتحها للطلاب طوال اليوم باشتراك يتم تحصيله مع المصروفات المدرسية وذلك لخدمة الطلاب من أجل المزيد من الثقافة والتحصيل والتنشئة السليمة.

(٣٩) المعالجة الصريحة لمختلف القضايا المثارة فى المجتمع من المنظور الإسلامى وذلك لتبصير الشباب والمراهقين بمختلف أبعاد هذه القضايا على هدى القرآن الكريم والسنة النبوية.

(٤٠) التبصير بحقيقة التيارات والمذاهب الضالة عن صحيح العقيدة الإسلامية والرد على ما تشيره من أفكار مضللة وتثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة فى نفوس الشباب والمراهقين.

(٤١) تبنى الدعوة إلى إجراء حوارات متصلة مع الشباب وبخاصة المتهم منهم بالتطرف الدينى وأن يشارك فى هذه الحوارات نخبة من علماء الدين الذين يحظون بثقة الشباب لتصحيح المفاهيم الدينية الخاطئة لديهم.

(٤٢) التوعية بالأنشطة الفكرية فى مجال الثقافة الإسلامية سواء كانت ندوات أو مؤتمرات أو كتب جديدة.

(٤٣) العناية بالحوار الحضارى من خلال مناقشة الأفكار الواقدة وبخاصة من الغرب وتقويمها بميزان الإسلام والتمييز بين ما يدخل منها فى إطار الغزو الفكرى وما يعتبر ثقافة إنسانية عامة، وذلك بما يحقق مزيداً من التواصل بين المسلمين والعالم وفى الوقت نفسه لا يجعلهم يذوبون فى ثقافة الغير وبخاصة الشباب والمراهقين فهم أكثر الفئات تأثراً بالثقافة الغربية.

(٤٤) يجب على وسائل الإعلام المساهمة فى إيقاظ الرأى العام فى العالم العربى والإسلامى وتوعيته بحقيقة ما تروج له القوى الإعلامية الغربية من صور دعائية خاطئة حول تأييد الإسلام للتطرف، وتبصيرهم بما قد يترتب على مثل هذا النوع من السياسات الإعلامية من أخطاء تضر بقضاياهم ومصالحهم.

(٤٥) التعرف على مظاهر التغير الثقافى والاجتماعى فى المجتمع والتى قد تعوق عملية التنشئة الاجتماعية الإسلامية السليمة وذلك لتحديد وسائل مواجهتها من خلال الفكر التربوى الإسلامى.

(٤٦) الاهتمام بإعداد الدعاة وتزويدهم بالعلوم الدينية بالإضافة إلى علومهم الدينية حتى يتسنى لهم مواجهة الوافد من التيارات والثقافات التي قد يشكل وجودها خلافاً في التنشئة الاجتماعية الإسلامية.

(٤٧) الاهتمام بوسائل شغل أوقات الفراغ بحيث تعمل على إبعاد الشباب عن مزالق الانحراف وراء اتجاهات أو تيارات مضللة متطرفة تهدم ما تشيده التنشئة الاجتماعية الإسلامية.

(٤٨) ضرورة اهتمام كليات التربية بإعداد معلم اللغة العربية وذلك بتزويد حصيلته من القرآن الكريم والسنة النبوية حتى يتخرج معلم كفاء يستطيع أن يقوم بدوره على الوجه الأكمل.

(٤٩) يجب شرح طبيعة الإسلام التي لا تتعارض والتقدم والتطور بصورة تتوافق مع طبيعة المجتمعات المعاصرة.

(٥٠) يجب تجريد ظاهرة التطرف الديني من صلتها بالإسلام وأن يكون هذا هدفاً من أهداف الذين يعرفون الإسلام قدراً وفكراً وروحاً ونصاً ورسالة وغاية، فعلى الدول الإسلامية أن توحد جهودها ضد هذه الظاهرة التي شوّهت صورة الإسلام دولياً، حتى تظهر للعالم حقيقة الإسلام الذي ينبذ الغلو والتشدد والتطرف بكافة أنواعه.

obeikandi.com

## المراجع

١ - أحمد أبو الوفا : الشريعة الإسلامية وظاهرة الإرهاب الدولي،  
مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد  
(١٩)، سنة ١٩٩١.

٢ - أحمد كمال أبو المجد : التطرف الدينى عند الشباب - أبعاد المسألة -  
القاهرة، دار المعارف، سنة ١٩٨٢.

٣ - المركز القومى للبحوث : بحث الحركات الدينية المتطرفة، بحث غير  
الاجتماعية والجنايئة منشور، سنة ١٩٨٢.

٤ - حسنين توفيق : العنف السياسى فى مصر بين احتمالات  
الاستيعاب وإمكانات المواجهة، مركز البحوث  
والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم  
السياسية، جامعة القاهرة، سنة ١٩٩١.

٥ - دينسوف . ف : نظريات العنف فى الصراع الأيديولوجى، ترجمة  
سحر سعيد، دمشق، دار دمشق للطباعة  
والنشر، سنة ٢٠٠٣.

٦ - زينب سالم : التطرف الدينى «استطلاع رأى عينة من طلاب  
وطالبات المرحلة الثانوية فى المرحلة العمرية من  
(١٤-١٧) سنة، رسالة ماجستير، معهد  
الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس،  
سنة ١٩٩٨.

- ٧ - زينب سالم : الدوافع النفسية والاجتماعية لتدخين السجائر لدى عينة من طلاب وطالبات المرحلة الإعدادية والثانوية فى المرحلة العمرية من (١٢-١٧) سنة دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، سنة ٢٠٠٢.
- ٨ - شاكـر عبد المنعم : الإرهاب الدولى قضية لها تاريخ، القاهرة، دار المعارف، سنة ٢٠٠١.
- ٩ - عاطف فؤاد : العنف والدولة، مكتبة الحرية الحديثة، ط١، سنة ١٩٩٢.
- ١٠ - عمرو هاشم : التطرف والإرهاب «دراسة اجتماعية نفسية سياسية»، القاهرة، مذبولى، سنة ١٩٩١.
- ١١ - فهمى هويدى : التدين المنقوص، الناشر غير مبين، ط١، سنة ١٩٨٧.
- ١٢ - محمد سعيد العشماوى : التطرف الدينى وأبعاده السلبية «أمنيًا وسياسيًا واجتماعيًا»، مجلة المنار، العدد (٣٦)، ديسمبر، سنة ١٩٨٧.
- ١٣ - محمد الأحمدي أبو النور : الخطوط الفكرية ومشاكل الشباب المسلم، ضمن بحوث مؤتمر مشكلات الشباب فى العالم الإسلامى، القاهرة، المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية، سنة ١٩٨١.

١٤- هـرت ماركـوز : نحو ثورة جديدة، ترجمة عبد اللطيف شرارة، بيروت، دار العودة، سنة ٢٠٠٣.

١٥- يوسف القرضاوى : الصحة الإسلامية بين الجمود والتطرف، دولة قطر، ط١، سنة ١٩٨٥.

- 16- Allport, G: The religious context of Prejudice Psychological Abstracts, 41, (9), 2000.
- 17- Ames Edwards: The Psychology of religious Experience, New york, 2001.
- 18- Dreger, M: Religious Behaviour London, 2000.
- 19- Khalique, W: Pragmatism, New york, 1999.
- 20- Leiter, N: Some Personality Factors in extreme Religiosity Dissertation Abstract International, (31), (5-B), 2002.